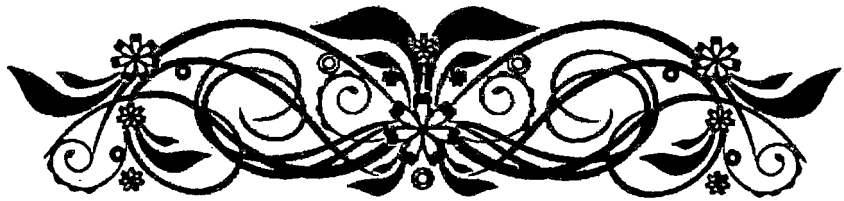

نور البيان

في

أسرار فواتح سور القرآن

إعداد الدكتور

كرم معروف محمود معروف

مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

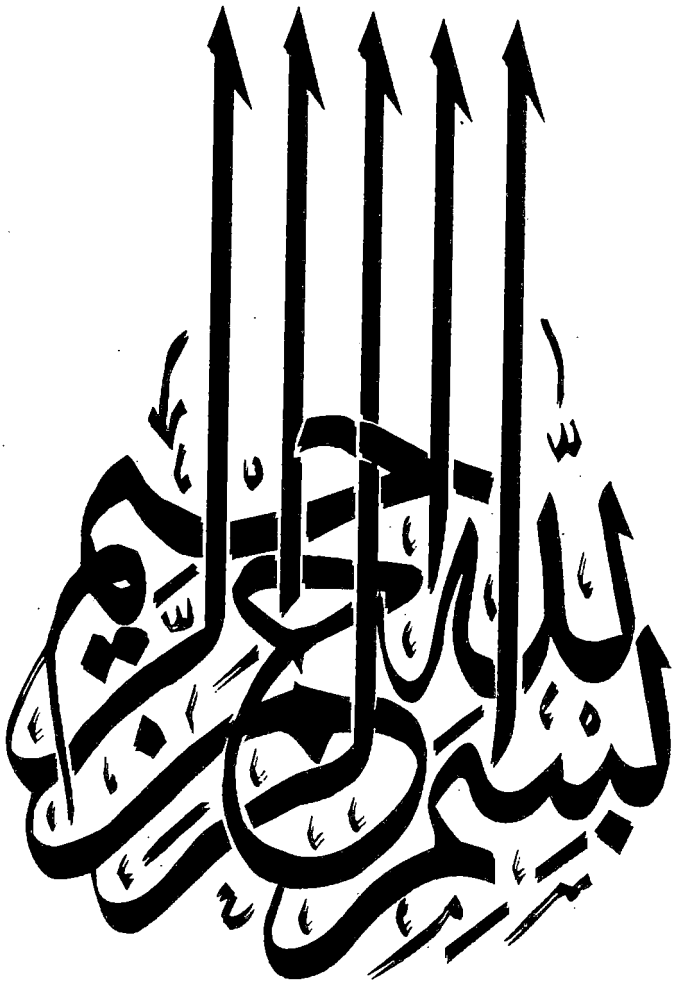
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

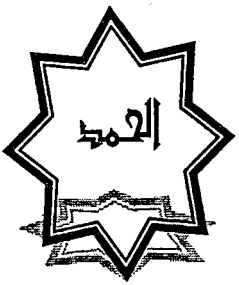

لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن أجلَّ علم صُرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل ، إذ هو كلام الله الذي : (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(١) .

فهو المعجزة العقلية الباهرة التي أيَّدَ الله بها خير خلقه، وخاتم أنبيائه ﷺ ، وهو خالد في إعجازه لا يزيده التقدُّم العلميُّ إلا رسوخًا في الإعجاز، وهو حجة الله البالغة على خلقه، تعبدهم بتلاوته وتدبره، وفهمه والعمل به، وأطلعهم من خلاله على بعض أسراره في ملكه وملكوته .

ولقد انزل الله ﷻ كتابه الكريم في أوجز لفظ وأعجز أسلوب فأعيت بلاغته البلغاء ، وأعجزت حكمته الحكماء ، وأبكمت فصاحته الفصحاء ، وأحكمت آياته مع فواصله ، وحسن ارتباط أواخره بأوائله ، فلا يستطيع أحد من الخلق مهما أوتي من الفصاحة والبلاغة وقوة البيان أن يأتي بمثلها أو يفكر في محاكاتها .

---

(١) سورة فصلت ٤١ الآية ٤٢

و الله ﷻ يسجل عجز الإنس والجن عن محاكاته أو الإتيان بمثله حيث قال : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (١)

لهذا جمع المسلمون الأوائل كل قواهم، وكرَّسُوا جُلَّ حياتهم لخدمة

هذا الكتاب العظيم، ولم يدَّخِروا جهدًا في حفظة وتدوينه، وتفسيره، واستنباط أحكامه، والتنقيب عن لطائفه وأسراره، والعمل به والسير على نهجه في عباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم، فتركوا تراثًا خالدًا زخرت به المكتبات في مشارق الأرض ومغاربها.

وتلمسا لخطوات هؤلاء العلماء والسير على دربهم أعددت – بإذن الله – هذا البحث في نوع من أنواع علوم القرآن الكريم وهو (فواتح السور) حيث إن هذه الفواتح هي أول ما يقرع سمع الإنسان ويجلب انتباهه ولذلك جاءت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها درجة من درجات البلاغة والفصاحة والإعجاز .

يقول السيوطي : قال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه

---

(١) سورة الإسراء ١٧الآية ٨٨

نظما وسبكا وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب . (١)

ولقد استفتح الله ﷻ سور القرآن الكريم البالغة أربعة عشرة سورة بعد المائة بعشرة أنواع من الاستفتاح وقد أتت جميعها على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها مما يدل على التفنن في الأسلوب وبراعة الاستهلال وحسن الابتداء .

وفي هذا البحث الذي سميته : (نور البيـــان فـــي أسرار فواتح سورالقرآن) أستعرض بتوفيق الله تعالى تلك الأنواع لنقف على بعض أسرار هذه الفواتح متأملين متدبرين عظمة وبلاغة كلام رب العالمين

خطة البحث :

وقد قسّمت البحث إلى : تقديم ، وعشرة مباحث ، وخاتمة :

أما التقديم : فبينت فيه أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجي فيه.

المبحث الأول : **السور المفتتحة بالثناء على الله تعالى**

المبحث الثاني : **السور المفتتحة بالحروف المقطعة**

المبحث الثالث : **السور المفتتحـــة بالنـــــداء**

---

(١) الإتقان للسيوطي ٣/٣٦٣ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

المبحث الرابع : **السور المفتتحة بالجمل الخبرية**

المبحث الخامس : **السور المفتتحة بالقَسَم**

المبحث السادس : **السور المفتتحة بالشَرْطُ**

المبحث السابع : **السور المفتتحة بالأمر**

المبحث الثامن : **السور المفتتحة بالاستفهام**

المبحث التاسع : **السور المفتتحة بالدعاء**

المبحث العاشر : **السور المفتتحة بالتعليل**

الخاتمة : وبينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ، ثم ذكرت فهرسين أحدهما للمصادر والمراجع والآخر للموضوعات.

أما منهجي في هذا البحث فكان على النحو التالي:

١ – قدمت لكل مبحث من هذه المباحث بتمهيد يكون توطئة للدخول إلى موضوع المبحث .

٢ – ذكرت آيات فواتح السور المتعلقة بكل مبحث ورتبتها حسب ترتيب المصحف .

٣ – درست تلك الآيات وراجعت أشهر كتب التفسير وأسلمها منهجاً للوقوف على معنى الآية والتأكد من صحة الاستدلال والاستنباط .

٤ – تحدثت عن فاتحة كل سورة على حدة ، وأحيانا أجمع في الحديث بين أكثر من فاتحة إذا كان المعنى والغرض واحدا وهذا خشية التطويل والتكرار.

٥ – خرَّجت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ، ورقمها ،ورقم الآية.

٦ – خرَّجت الأحاديث النبوية من كتب الحديث المعتمدة وإذا كان الحديث في البخاري أو مسلم أكتفي بذكر أحدهما .

٧ – وضحت بعض الكلمات التي يلتبس معناها على بعض الأذهان من معاجم اللغة العربية .

٨ – ذكرت قائمة بالمراجع والمصادر التي أفدت منها ، ثم فهرسا للموضوعات .

وبعد : فما هذا إلا جهد مقل ولا أدعي فيه الكمال ولكن عذري أني بذلت فيه قصارى جهدي فإن أكن قد وفقت فذلك فضل من الله وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان وحسبي حسن النية وقد تكون نية المرء خير من عمله ويكفي شرف المحاولة والتعلم

ولا أزيد على ما قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو

ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.. (١).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١)مقدمة معجم الأدباء لياقوت الحموي (١/ ١١) ط دار الكتب العلمية بيروت.

المبحث الأول

السور المفتتحة بالثناء على الله تعالى

الثناء (١) قسمان:

الأول : إثبات صفات المدح له ﷻ.

والثاني : نفي وتنزيه صفات النقص عنه ﷻ .

فالقسم الأول : وهو إثبات صفات المدح له ﷻ جاء على صورتين: (الحمد لله)، و (تبارك الله). (٢)

الصورة الأولى : التحميد :

أي البدء بـ (الحمد لله) جاء في فاتحة خمس سور:

قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٣)

---

(١) الثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص بعضهم به المدح وأثنى عليه خيرا،والاسم الثناء . لسان العرب لابن منظور ١٤ /١٢٤ الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ، والقاموس المحيط للفيروز آبادى ١٢٦٨/١ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٣٦١/٣ بتصرف نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب طـ ١٩٧٤ م

(٣) سورة الفاتحة ١ الآية ١

وقال تعالى:(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) (١)

و قال تعالى:(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا)(٢)

و قال تعالى:(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) (٣)

وقال تعالى:(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) (٤)

وسأتكلم بمشيئة الله ﷻ عن هذه الصورة من خلال النقاط الآتية:

أولا: الفرق بين هذه البدايات :

بدأ الله ﷻ كتابه في سورة الفاتحة بقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) وهذا هو الكلام الكلي التام لأن قوله (الْعالَمِينَ) يشمل جميع العوالم وبالتالي يدخل فيه كل موجود سوى الله ﷻ لأن العالم عبارة عن كل موجود سوى الله ﷻ ، أما بقية التحميدات المذكورة في السور الأخرى فهو تحميد بنوع خاص.

---

(١) سورة الأنعام ٦ من الآية ١

(٢) سورة الكهف ١٨ من الآية ١

(٣) سورة سبأ ٣٤ من الآية ١

(٤) سورة فاطر ٣٥ من الآية ١

ففي سورة الأنعام تحميد بخلق السماوات والأرض وهو قسم من الأقسام الداخلة تحت قوله (الْعالَمِينَ) .

وفي سورة الكهف تحميد بنعمة العلم والمعرفة والهداية والقرآن وهو مخصوص بنوع خاص من النعمة .

وفي سورة سبأ وسورة فاطر فهو تحميد بالسماوات والأرض أو بما فيهما وظاهر أنه تحميد بقسم من الأقسام الداخلة تحت قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ).

يقول الفخر الرازي:اعلم أن هذه الكلمة مذكورة في أول سور خمس:

أولها: الفاتحة، فقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ)

وثانيها: في سورة الأنعام، فقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) والأول أعم لأن العالم عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، فقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) يدخل فيه كل موجود سوى الله تعالى.

أما قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) لا يدخل فيه إلا خلق السموات والأرض والظلمات والنور، ولا يدخل فيه سائر الكائنات والمبدعات، فكان الذي في أول هذه السورة كأنه قسم من الأقسام الداخلة تحت التحميد المذكور في سورة الفاتحة وتفصيل لتلك الجملة.

وثالثها: سورة الكهف، فقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً) وذلك أيضا تحميد مخصوص بنوع خاص من

النعمة وهي نعمة العلم والمعرفة والهداية والقرآن، وبالجملة النعم الحاصلة بواسطة بعثة الرسل.

ورابعها: سورة سبأ وهي قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) وهو أيضا قِسم من الأقسام الداخلة تحت قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ).

وخامسها: سورة فاطر، فقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وظاهر أيضا أنه قسم من الأقسام الداخلة تحت قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) فظهر أن الكلام الكلي التام هو التحميد المذكور في أول الفاتحة وهو قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) (١)

(١) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ٤٧٤/١٢ دار إحياء التراث العربي بيروت الثالثة – ١٤٢٠ هـ

ثانيا : تعريف الحمد ، وبيان السبب في اختيار هذه الكلمة دون لفظتي المدح والشكر :

الحمد: نقيض الذم ، ويقال: حمدته على فعله، ومنه المحمدة خلاف المذمة والحمد لله الثناء (١)

قال الطبري : ومعنى (الحمد لله) الشكر خالصا لله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه ، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدُّ، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا.(٢)

وقال القرطبي : الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا، والحمد نقيض الذم، تقول: حمدت الرجل أحمده حمدا فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٥٥/٣ دار صادر – بيروت الثالثة – ١٤١٤ هـ

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١٣٥/١ تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

من الحمد.(١)

أما عن السبب في اختيار الحمد دون لفظتي المدح والشكر

فلأن المدح يستعمل مع العاقل وغير العاقل فيمدح العالم لعلمه ويمدح اللؤلؤ لحسنه ، أما الحمد فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الإنعام والإحسان فالمدح أعم فلو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه فاعلا مختارا لأن المدح يكون مع الفاعل المختار وغيره ، أما الحمد فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار ﷻ .

واختار الله ﷻ لفظ الحمد دون لفظ الشكر لأن الحمد يشمل كل إنعام من الله ﷻ وصل إليك أو إلى غيرك أما الشكر فهو خاص بالإنعام الواصل إليك فقط ، والأول أفضل .

يقول الفخر: اعلم أن المدح أعم من الحمد، والحمد أعم من الشكر.

أما بيان أن المدح أعم من الحمد، فلأن المدح يحصل للعاقل ولغير العاقل، ألا ترى أنه كما يحسن مدح الرجل العاقل على أنواع فضائله، فكذلك قد يمدح اللؤلؤ لحسن شكله ولطافة خلقته، ويمدح الياقوت على نهاية صفائه وصقالته! فيقال: ما أحسنه وما أصفاه، وأما الحمد: فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الإنعام والإحسان، فثبت أن المدح أعم من الحمد.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٣/١ ط دار الكتب المصرية – القاهرة الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

وأما بيان أن الحمد أعم من الشكر، فلأن الحمد عبارة عن تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الإنعام سواء كان ذلك الإنعام واصلا إليك أو إلى غيرك، وأما الشكر فهو عبارة عن تعظيمه لأجل إنعام وصل إليك وحصل عندك، فثبت بما ذكرنا أن المدح أعم من الحمد،

وهو أعم من الشكر.

فلم يقل المدح لله لأنا بينا أن المدح كما يحصل للفاعل المختار، فقد يحصل لغيره، أما الحمد فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار، فكان قوله الحمد لله تصريحا بأن المؤثر في وجود هذا العالم فاعل مختار خلقه بالقدرة والمشيئة وليس علة موجبة له إيجاب العلة لمعلولها ، ولا شك أن هذه الفائدة عظيمة في الدين.

ولم يقل الشكر لله، لأنا بينا أن الشكر عبارة عن تعظيمه بسبب إنعام صدر منه ووصل إليك، وهذا مشعر بأن العبد إذا ذكر تعظيمه بسبب ما وصل إليه من النعمة فحينئذ يكون المطلوب الأصلي به وصول النعمة إليه وهذه درجة حقيرة .

أما إذا قال: الحمد لله، فهذا يدل على أن العبد حمده لأجل كونه مستحقا للحمد لا لخصوص أنه تعالى أوصل النعمة إليه، فيكون الإخلاص أكمل، واستغراق القلب في مشاهدة نور الحق أتم، وانقطاعه عما سوى الحق أقوى وأثبت. (١)

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٧٢/١٢ بتصرف

ثالثا : السر في تقديم التحميد على التسبيح .

افتتح الله كتابه بالحمد لله مع أن التسبيح جاء مقدما عليه كما ورد في الحديث الشريف عن النبيﷺ قال: (أفضل الكلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر) (١) .

وقال ﷺ (أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر). (٢)

والسر في ذلك أن التحميد يدل على التسبيح دلالة ضمنية فقولنا الحمد لله يدل على تبرئته ﷻ في ذاته وصفاته من النقائص وهو معنى التسبيح ، ويدل أيضا على كونه محسنا إلى الخلق .

قال الفخر : لقائل أن يقول: التسبيح مقدم على التحميد، لأنه يقال (سبحان الله والحمد لله) فما السبب هاهنا في وقوع البداية بالتحميد؟

والجواب أن التحميد يدل على التسبيح دلالة التضمن، فإن التسبيح يدل على كونه مبرأ في ذاته وصفاته عن النقائص والآفات، والتحميد يدل مع حصول تلك الصفة على كونه محسنا إلى الخلق منعما عليهم

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأيمان والنذور باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، فصلى، أو قرأ، أو سبح، أو كبر، أو حمد، أو هلل، فهو على نيته ١٣٨/٨ الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

(٢) صحيح مسلم كتاب الآداب باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه ١٦٨٥/٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

رحيما بهم، فالتسبيح إشارة إلى كونه تعالى تاما والتحميد يدل على كونه تعالى فوق التمام، فلهذا السبب كان الابتداء بالتحميد أولى (١).

الصورة الثانية :الافتتاح بقوله (تَبَارَكَ) وقد جاء في سورتين : وهما:

سورة الفرقان: قال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (٢)

وسورة الملك : قال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣)

وأتحدث عن هذه الصورة من خلال النقاط التالية :

أولاً : معنى هذه الكلمة :

هذا الفعل (تَبَارَكَ) مختصا به ﷻ فلا يستعمل في غيره ولهذا لم يصرف منه مستقبل ولا اسم فاعل ولا مصدر ولا غيره ، ويقال تبارك الله ، ولا يقال متبارك ولا مبارك، لأنه ينتهى في أسمائه وصفاته إلى حيث ورد التوقيف.

وقد ذكر المفسرون في معنى هذه الكلمة أقوالاً عدة منها:

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩٤/١

(٢) سورة الفرقان ٢٥ الآية ١

(٣) سورة الملك ٦٧ الآية ١

١ــ أن المعنى: تعالى ، أو تقدس، أو تمجد ، أو ارتفع أو لم يزل ولا يزال، وقيل: المعنى دام وثبت إنعامه وعلى كل هذه المعاني تكون صفة ذات .

٢ ــ أو أن المعنى: أنه تفاعل من البركة والبركة كثرة الخير وزيادته ويكون المعنى تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في ذاته وصفاته وأفعاله ، وعلى هذا تكون صفة فعل .

قال ابن الجوزي : عند تفسير قوله تعالى : (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(١)

قوله تعالى : (تَبَارَكَ اللَّهُ) فيه أربعة أقوال: أحدها : تفاعل من البركة، رواه الضحاك عن ابن عباس وكذلك قال القتيبيُّ، والزجاج وقال أبو مالك: افتعل من البركة .

وقال الحسن: تجيء البركة من قِبَله وقال الفراء: تبارك: من البركة وهو في العربية كقولك: تقدس ربنا.

والثاني: أن تبارك بمعنى تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وكذلك قال أبو العباس: تبارك: ارتفع والمتبارِك: المرتفِع.

---

(١)سورة الأعراف ٧ من الآية ٥٤

والثالث : أن المعنى: باسمه يُتبرَّك في كل شيء، قاله ابن الانباري.

والرابع :أن معنى«تبارك» تقدس،أي: تطهر، ذكره ابن الأنباري(١)

وقال أبو حيان في تفسير قوله ﷻ : (تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ): وتبارك تفاعل مطاوع بارك وهو فعل لا يتصرف ولم يستعمل في غيره تعالى فلا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر.

قال ابن عباس: لم يزل ولا يزول ، وقال الخليل: تمجَّد.

وقال الضحاك: تعظَّم ، وحكى الأصمعي تبارك عليكم من قول عربي صعد رابية فقال لأصحابه ذلك، أي تعاليت وارتفعت ، ففي هذه الأقوال تكون صفة ذات.

وقال ابن عباس أيضا والحسن والنخعي: هو من البركة وهي التزايد في الخير من قبله، فالمعنى زاد خيره وعطاؤه وكثر، وعلى هذا يكون صفة فعل . (٢)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي١٢٩/٢ المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ٧٩/٨ المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي المحقق: علي عبد الباري عطية٤٢١/٩ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

ويقول القرطبي: قال الثعلبي: يقال تبارك الله ، ولا يقال متبارك ولا مبارك، لأنه ينتهى في أسمائه وصفاته إلى حيث ورد التوقيف. (١)

ثانياً : في وجه افتتاح هاتين السورتين بهذه الكلمة :

١ – وقد افتتحت سورة الفرقان بهذه اللفظة للرد على ادعاء قريش أن هذا القرآن كلام محمد ﷺ وليس من عند الله ﷻ.

قال ابن عطية : وصدر هذه السورة إنما هو رد على مقالات كانت لقريش، فمن جملتها قولهم إن القرآن افتراه محمد ﷺ وإنه ليس من عند الله فهو ردّ على هذه المقالة . (٢)

٢ – وصُدِّرت سورة الملك بهذا اللفظ لبيان تعاظمه ﷻ في ذاته وصفاته وأفعاله لأنه كثير الخيرات والبركات وله ملك كل شيء يتصرف فيه كما شاء على وفق إرادته ومشيئته .

قال صاحب الفواتح الإلهية :(تَبارَكَ) تعاظم وتعالى من كثرة الخيرات والبركات الملك الكامل(الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) وبقبضة قدرته جميع التدابير والتصاريف الجارية في ملكه وملكوته على وجوه الصور

---

(١) الجامع لأحكام القرآن١٣/٢

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ١٩٩/٤ المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ط: الأولى – ١٤٢٢ هـ

والتقادير وكيف لا (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من متفرعات جود وجوده (قَدِيرٌ) بالقدرة الشاملة والارادة الكاملة الخالق الموجد (١)

ويقول الشيخ حجازي : تعالى الله وتعاظم- جل شأنه- عما سواه ذاتاً وصفة وفعلا وتكاثر خيره وبره على جميع خلقه، فهو صاحب التصرف التام في الموجودات على مقتضى إرادته ومشيئته بلا منازع، وهو على كل شيء قدير وهو الحكيم الخبير . (٢)

القسم الثاني من الثناء على الله تعالى:

نفي وتنزيه صفات النقص عنه ﷻ

وقد جاء في صورة (التسبيح) في فاتحة سبع سور وهي:

سورة الإسراء قال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) (٣)

---

(١)الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) ٤٣٠/٢ الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م

(٢)التفسير الواضح المؤلف: محمد محمود حجازي، (٧١١/٣)الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ

(٣) سورة الإسراء ١٧ من الآية ١

وسورة الحديد قال تعالى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١)

وسورة الحشر قال تعالى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢)

وسورة الصف قال تعالى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣)

وسورة الجمعة قال تعالى (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (٤)

وسورة التغابن قال تعالى (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٥)

وسورة الأعلى قال تعالى (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (٦)

وسأتكلم عن هذه السور من خلال النقاط الآتية :

أولاً : الحكمة في ترتيبها على هذا النحو :

---

(١) سورة الحديد ٥٧ الآية ١

(٢) سورة الحشر ٥٩ الآية ١

(٣) سورة الصف ٦١ الآية ١

(٤) سورة الجمعة ٦٢ الآية ١

(٥) سورة التغابن ٦٤ الآية ١

(٦) سورة الأعلى ٨٧ الآية ١

بالتأمل في هذه البدايات نجدها مرتبة ترتيب اشتقاقات لا ترتيب تسلسل ، لأن بينها سوراً أخرى .(١)

وبيان ذلك أن الأصل في اشتقاقات الكلام أن الكلمة مشتقة من المصدر ، ثم الفعل الماضي ، ثم الفعل المضارع ، ثم فعل الأمر، وهكذا : سبحانَ، سبَّحَ، يُسبح ، سبِّحْ وبالنظر في السور المفتتحة بالتسبيح فسنجدها مرتبة على هذا الأساس:

فسورة الإسراء افتتحت بالمصدر (سُبْحَانَ) لأن المصدر هو الأصل والأساس في الاستعمال .

وسور الحديد والحشر والصف افتتحت بالفعل الماضي (سبَّحَ لله) لأن الماضي أقدم الزمانين .

وسورتا الجمعة والتغابن افتتحتا بالفعل المضارع (يسبِّحُ لله) .

وسورة الأعلى افتتحت بفعل الأمر(سبِّح) .

قال الكرماني في متشابه القرآن: التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل لأنه الأصل ثم بالماضي في الحديد والحشر والصف لأنه أسبق الزمانين ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن ثم بالأمر في الأعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها. (٢)

---

(١) مثل السور الكثيرة بين الإسراء والحديد ، وسورة المجادلة بين الحديد والحشر .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣ /٣٦١ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ =

ثانياً : تعريف التسبيح :

التسبيح تنزيه الله ﷻ من السوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه ، بالاعتقاد والقول والعمل ، وقد سئل النبي ﷺ عن التسبيح فقال:(تنزيه الله من كل سوء) (١)

قال القرطبي : ومعناه التنزيه والبراءة لله ﷻ من كل نقص ، فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره، وقد روى طلحة بن عبيد الله الفياض أحد العشرة أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحان الله؟ فقال:" تنزيه الله من كل سوء".(٢)

وقال الرازي : التسبيح تبعيد الله تعالى من السوء، وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد، واعلم أن

١٩٧٤ م ، و أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني، ويعرف بتاج القراء ٢٣٢/١ المحقق: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض دار النشر: دار الفضيلة

(١)الدعاء لأبي القاسم الطبراني ٤٩٨/١ حديث رقم ١٧٥١ المحقق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣، والمستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم ٦٨٠/١ حديث رقم ١٨٤٨ وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

(٢)تفسير القرطبي ٢٠٤/١٠

التسبيح عن السوء يدخل فيه تبعيد الذات عن السوء، وتبعيد الصفات وتبعيد الأفعال، وتبعيد الأسماء وتبعيد الأحكام. (١)

ثالثاً : بيان الحكمة في مجيء بعضها بالماضي وبعضها بالمضارع:

جاء في بعض الفواتح (سبَّحَ) على لفظ الماضي، وفي بعضها (يسبِّحُ) على لفظ المضارع ، وذلك إشارة إلى أن كون الأشياء التي من شأنها التسبيح تسبيحها غير مختص بوقت دون وقت، بل هي

كانت مسبحة أبدا في الماضي، وتكون مسبحة أبدا في المستقبل.

قال الألوسي : (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) التسبيح على المشهور تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الأرض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما.

وعبر بالماضي هنا وفي بعض الأوقات وبالمضارع في البعض الآخر إيذانا بتحقق التسبيح في جميع الأوقات، وفي كل دلالة على أن من شأن ما أسند إليه التسبيح أن يسبحه وذلك ديدنه.

أما دلالة المضارع عليه فللدلالة على الاستمرار إلى زمان الإخبار وكذلك فيما يأتي من الزمان لعموم المعنى المقتضي للتسبيح وصلوح اللفظ لذلك حيث جرد عن الدلالة على الزمان وأوثر على الاسم دلالة على تجدد تسبيح غبّ تسبيح.

وأما دلالة الماضي فللتجرد عن الزمان أيضا مع التحقيق الذي هو مقتضاه فيشمل الماضي من الزمان ومستقبله كذلك، وقيل: الإيذان

---

(١)مفاتيح الغيب ٢٩/٤٤٢،٤٤١

والدلالة على الاستمرار مستفادان من مجموعي الماضي والمضارع حيث دل الماضي على الاستمرار إلى زمان الإخبار والمضارع على الاستمرار في الحال والاستقبال فشملا معا جميع الأزمنة.

وقال الطيبي: افتتحت بعض السور بلفظ المصدر وبعض بالماضي وبعض بالمضارع وبعض بالأمر فاستوعب جميع جهات هذه الكلمة إعلاما بأن المكونات من لدن إخراجها من العدم إلى الوجود إلى الأبد مسبحة مقدسة لذاته سبحانه وتعالى قولا وفعلا طوعا وكرها (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) (١) (٢) .

(١) سورة الإسراء ١٧ من الآية ٤٤

(٢) روح المعاني ١٤/١٦٦،١٦٥

المبحث الثاني

السور المفتتحة بالحروف المقطعة

تباينت آراء المفسرين في المراد من هذه الحروف المقطعة الواقعة في أول سور عدة مجموعها تسع وعشرون سورة ومعظمها في السور المكية، وكان بعضها في ثاني سورة نزلت وهي (ن وَالْقَلَمِ) (١).

وأخلق بها أن تكون مصدر آراء وأقوال متعددة وأبحاث كثيرة، ومجموع ما وقع من حروف الهجاء في أوائل السور أربعة عشر حرفا وهي نصف حروف الهجاء وأكثر السور التي وقعت فيها هذه الحروف:السور المكية عدا البقرة وآل عمران، والحروف الواقعة في أوائل السور هي:(ا، ح، ر، س، ص، ط، ع، ق، ك، ل، م، ن، هـ، ي) بعضها تكرر في سور وبعضها لم يتكرر وهي من القرآن لا محالة ومن المتشابه في تأويلها. (٢)

وأتكلم عن هذه الحروف من خلال النقاط التالية :

أولاً : في معنى هذه الحروف :

تعددت أقوال العلماء في المراد من الحروف المقطعة ومجموع هذه الأقوال يرجع إلى قولين :

---

(١) سورة القلم ٦٨ من الآية ١

(٢)التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ٢٠٦/١ بتصرف الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤هـ

القول الأول : أن المراد من هذه الفواتح غير معلوم لأنه مما استأثر الله بعلمه :

وقد روي هذا القول عن جماعة من الصحابة منهم أبو بكر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ .

يقول الفخر: للناس في قوله تعالى: الم وما يجري مجراه من الفواتح قولان:

أحدهما : أن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله تبارك وتعالى به .

قال أبو بكر الصديق ﷺ: لله في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور.

وقال علي ﷺ: إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي. (١)

وقد أنكر بعض العلماء هذا القول، وقالوا لا يجوز أن يرد في كتاب الله تعالى ما لا يكون مفهوما للخلق، واستدلوا عليه بالآيات القرآنية والأحاديث والعقل.

ومن الآيات التي استدلوا بها:

---

(١) مفاتيح الغيب ٢/٢٥٠

قوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها)(١) فالله أمرهم بالتدبر في القرآن، ولو كان غير مفهوم فكيف يأمرهم بالتدبر فيه.

وقوله ﷻ:(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (٢) فلو لم يكن مفهوما بطل كون الرسول ﷺ منذرا به.

وأيضا قوله:(بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) يدل على أنه نازل بلغة العرب، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون مفهوما.

وقوله ﷻ: (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (٣) و(هُدىً لِلنَّاسِ) (٤)، وغير المعلوم لا يكون هدى .

وقوله ﷻ:(هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ) (٥) فكيف يكون بلاغا، وكيف يقع الإنذار به مع أنه غير معلوم؟ وقال في آخر الآية (وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ) وإنما يكون كذلك لو كان معلوما .

وقوله تعالى (قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً) (٦) فكيف يكون برهانا ونورا مبينا مع أنه غير معلوم.

---

(١) سورة محمد ٤٧ الآية ٢٤

(٢)سورة الشعراء ٢٦الآيات ١٩٢-١٩٥

(٣)سورة البقرة ٢ من الآية ٢

(٤)سورة البقرة ٢ من الآية ١٨٥

(٥)سورة إبراهيم ١٤ من الآية ٥٢

(٦)سورة النساء ٤ من الآية ١٧٤

وقوله تعالى: (إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (١) فكيف يكون هاديا مع أنه غير معلوم؟

وأما الأخبار:

فمنها قوله ﷺ: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي»(٢) فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم؟ .

أما المعقول فمن وجوه: أحدها: أنه لو ورد شيء لا سبيل إلى العلم به لكانت المخاطبة به تجري مجرى مخاطبة العربي باللغة الزنجية، ولما لم يجز ذاك فكذا هذا.

وثانيها : أن المقصود من الكلام الإفهام،فلو لم يكن مفهوما لكانت المخاطبة به عبثا وسفها،ولا يليق بالحكيم.

وثالثها: أن التحدي وقع بالقرآن وما لا يكون معلوما لا يجوز وقوع التحدي به . (٣)

القول الثاني : أن المراد من هذه الفواتح معلوم وذكر العلماء فيه وجوهاً كثيرة أذكر منها :

---

(١)سورة الإسراء ١٧ من الآية ٩

(٢)الموطأ للإمام مالك باب النهي عن القول بالقدر حديث رقم ٣ ، ٨٩٩/٢ صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان عام النشر: ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م

(٣)مفاتيح الغيب بتلخيص ٢/٢٥٠-٢٥١

١ ــ أنها حروف مقتضبة من أسماء وصفات لله تعالى المفتتحة بحروف مماثلة لهذه الحروف المقطعة رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقاله محمد بن القرظي والربيع بن أنس فألم مثلا الألف إشارة إلى أحد أو أول أو أزلي، واللام إلى لطيف، والميم إلى ملك أو مجيد، ونحو ذلك، وعلى هذا يحتاج في بيانها إلى توقيف ولا توقيف.

٢ــ أنها رموز لأسماء الله تعالى وأسماء الرسول ﷺ والملائكة فألم مثلا، الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد، قاله الضحاك، ولا بد من توقيف في كل فاتحة منها .

٣ ــ أنها رموز كل حرف رمز إلى كلمة فنحو: (الم) أنا الله أعلم، و (المر) أنا الله أعلم وأرى، و (المص) أنا الله أعلم وأفصل، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، ويوهنه أنه لا ضابط له لأنه أخذ مرة بمقابلة الحرف بحرف أول الكلمة، ومرة بمقابلته بحرف وسط الكلمة أو آخرها. ونظروه بأن العرب قد تتكلم بالحروف المقطعة بدلا من كلمات تتألف من تلك الحروف نظما ونثرا، ومن ذلك قول زهير:

بالخير خيرات وإن شر فا ... ولا أريد الشر إلا أن تا

أراد وإن شر فشر وأراد إلا أن تشا، فأتى بحرف من كل جملة.

وقال الوليد بن المغيرة عامل عثمان يخاطب عدي بن حاتم:

قلت لها قفي لنا قالت قاف ... لا تحسبني قد نسيت الإيجاف

أراد قالت وقفت.

وفي الحديث: «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة»(١) قال شقيق: هو أن يقول "اق" مكان اقتل.

وفي الحديث أيضا: «كفى بالسيف شا»(٢) ، أي شاهدا .

٤ ــ أنها أسماء للسور التي وقعت فيها، قاله زيد بن أسلم ونسبه صاحب «الكشاف» للأكثر ويعضده وقوع هاته الحروف في أوائل السور فتكون هاته الحروف قد جعلت أسماء بالعلامة على تلك السور، وسميت بها وقد سمت العرب بأسماء الحروف كما سموا لام الطائي والد حارثة، وسموا الذهب عين، والسحاب غين، والحوت نون، والجبل قاف .

ويبعد هذا القول بعدا ما إن الشأن أن يكون الاسم غير داخل في المسمى وقد وجدنا هذه الحروف مقروءة مع السور بإجماع المسلمين، على أنه يرده اتحاد هذه الحروف في عدة سور مثل الم والر وحم. وأنه لم توضع أسماء السور الأخرى في أوائلها.

٥ ــ أن هاته الحروف أقسم الله تعالى بها كما أقسم بالقلم تنويها بها لأن مسمياتها تألفت منها أسماء الله تعالى وأصول التخاطب والعلوم قاله الأخفش، وقد وهن هذا القول بأنها لو كانت مقسما بها لذكر حرف

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب الديات باب التغليظ في قتل مسلم ظلما ٢/٨٧٤ رقم ٢٦٢٠ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي نشر:دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي

(٢) سنن أبي داود باب في الرجم رقم ٤٤١٧ ، ٤/١٤٤ المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

القسم إذ لا يحذف إلا مع اسم الجلالة عند البصريين وبأنها قد ورد بعدها في بعض المواضع قسم نحو: (ن وَالْقَلَمِ)(١) و(حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ)(٢) .

قال الزمخشري: وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم واحد.

٦ ــ أنها سيقت مساق التهجي مسرودة على نمط التعديد في التهجية تبكيتا للمشركين وإيقاظا لنظرهم في أن هذا الكتاب المتلو عليهم وقد تحدوا بالإتيان بسورة مثله هو كلام مؤلف من عين حروف كلامهم كأنه يغريهم بمحاولة المعارضة ويستأنس لأنفسهم بالشروع في ذلك بتهجي الحروف ومعالجة النطق تعريضا بهم بمعاملتهم معاملة من لم يعرف تقاطيع اللغة، فيلقنها كتهجي الصبيان في أول تعلمهم بالكتاب حتى يكون عجزهم عن المعارضة بعد هذه المحاولة عجزا لا معذرة لهم فيه، وقد ذهب إلى هذا القول المبرد وقطرب والفراء.

قال في «الكشاف» وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزلة، وقلت وهو الذي نختاره وتظهر المناسبة لوقوعها في فواتح السور أن كل سورة مقصودة بالإعجاز لأن الله تعالى يقول: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)(٣)

---

(١) سورة القلم من ٦٨ الآية ١

(٢) سورة الزخرف ٤٣ الآية ١

(٣) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٣

فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالتمهيد لمحاولته ويؤيد هذا القول أن التهجي ظاهر في هذا المقصد فلذلك لم يسألوا عنه لظهور أمره وأن التهجي معروف عندهم للتعليم فإذا ذكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم عرف السامعون أنهم عوملوا معاملة المتعلم لأن حالهم كحاله في العجز عن الإتيان بكلام بليغ.

٧ ــ أنها حروف قصد منها تنبيه السامع مثل النداء المقصود به التنبيه لإيقاظ ذهن السامع قاله ثعلب والأخفش وأبو عبيدة ، وذلك أن الكفار كانوا يعرضون عن سماع القرآن فقالوا: (لَا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) (١) فأوردت لهم هذه الحروف ليقبلوا على طلب فهم المراد منها فيقع إليهم ما يتلوها بلا قصد، قاله قطرب . (٢)

والأرجح من تلك الأقوال ثلاثة: وهي كون تلك الحروف لتبكيت المعاندين وتسجيلا لعجزهم عن المعارضة، أو كونها أسماء للسور الواقعة هي فيها،أو كونها أقساما أقسم بها لتشريف قدر الكتابة وتنبيه العرب الأميين إلى فوائد الكتابة لإخراجهم من حالة الأمية وأرجح هذه الأقوال الثلاثة هو أولها. (٣)

---

(١) سورة فصلت ٤١ من الآية ٢٦

(٢) التحرير والتنوير بتلخيص ٢٠٧/١-٢١٥ ، ومفاتيح الغيب ٢٥٢/٢-٢٥٥

(٣) المرجع السابق ٢١٦/١

ثانياً : بيان أنها مشتملة على نصف حروف المعجم :

هذه الحروف الأربعة عشرة إذا نظرت إليها وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، وبيان ذلك:

أن فيها من المهموسة نصفها:الصاد، والكاف، والهاء، والسين، والحاء.

ومن المجهورة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والعين، والطاء، والقاف، والياء، والنون.

ومن الشديدة نصفها: الألف، والكاف، والطاء، والقاف.

ومن الرخوة نصفها: اللام، والميم، والراء، والصاد، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والياء، والنون.

ومن المطبقة نصفها: الصاد، والطاء.

ومن المنفتحة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والقاف، والياء، والنون . ومن المستعلية نصفها: القاف، والصاد، والطاء.

ومن المنخفضة نصفها:الألف،واللام،والميم، والراء،والكاف، والهاء، والياء، والعين، والسين، والحاء، والنون.

ومن حروف القلقلة نصفها: القاف، والطاء.

يقول الزمخشري : ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها، رأيت الحروف التي ألغى اللّه ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته.

وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله. وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته، فكأن اللّه عز اسمه عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم، إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم.

ومما يدل على أنه تغمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم، أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكرّرتين، وهي: فواتح سورة البقرة، وآل عمران،

والروم، والعنكبوت ولقمان، والسجدة، والأعراف، والرعد، ويونس، وإبراهيم، وهود، ويوسف، والحجر. (١)

ثالثاً : في بيان السبب في مجيئها مفرقة على السور ، واختلاف أعداد حروفها :

١ ــ أما السبب في أن هذه الفواتح جاءت مفرقة على السور : ولم تُعَد بأجمعها في أول القرآن فلأن الشيء إذا كُرر مرة بعد أخرى كان ذلك أدعى إلى تقريره في الأسماع والقلوب من أن يُذكر مرة واحدة .

٢ ــ وأما السبب في اختلاف أعداد حروفها : حيث جاءت على حرف وحرفين إلى خمسة ، فإن هذا من التنوع في الكلام ومراعاة لأساليب العرب .

يقول الزمخشري : فإن قلت: فهلا عددت بأجمعها في أول القرآن؟ ومالها جاءت مفرقة على السور؟ قلت: لأن إعادة التنبيه على أن

---

(١)الكشاف ١/٢٩، ٣٠

المتحدى به مؤلف منها لا غير، وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقر له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة، وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره.

فإن قلت: فهلا جاءت على وتيرة واحدة؟ ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف، وطه وطس ويس وحم على حرفين، والم والر وطسم على ثلاثة أحرف، والمص والمر على أربعة أحرف،وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف؟ قلت: هذا على إعادة افتنانهم في أساليب الكلام، وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة، وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك، سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك. (١)

(١) المرجع السابق ١/٣٠،٣١

المبحث الثالث

السور المفتتحة بالنـــداء

وقد جاء ذلك في عشر سور:

خمس بنداء الرسول ﷺ: الأحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر

وخمس بنداء الأمة : النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة(١)

أولاً : في بيان السور المفتتحة بنداء النبي ﷺ :

جاء نداء النبي ﷺ في القرآن دائماً مقروناً بوصف النبوة أو الرسالة، وهذا تفضيل لخطابه عن خطاب غيره ﷺ فلم ينادَ في القرآن إلا بهذا الوصف بخلاف غيره من الأنبياء – عليهم السلام – .

يقول الزمخشري : جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) (٢) و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) (٣) وترك نداءه باسمه كما قال: يا آدم، يا موسى، يا عيسى ، يا داود، كرامة له وتشريفا، وربئا بمحله وتنويها بفضله.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣٦١/٣

(٢)سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ١

(٣) سورة المائدة ٥ من الآية٦٧

فإن قلت: إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) (١) و (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) (٢)

قلت: ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به، فلا تفاوت بين النداء والإخبار، ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الأخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ)(٣) (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ) (٤) و(النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (٥) و(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)(٦).(٧)

ويقول ابن عاشور : ونداء النبيء ﷺ بوصف النبوءة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره ولذلك لم يناد في القرآن بغير(يَا أَيهَا النبي) (٨) و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ)(٩) .

---

(١) سورة الفتح ٤٨ من الآية ٢٩

(٢) سورة آل عمران ٣ من الآية ١٤٤

(٣) سورة التوبة ٩ من الآية ١٢٨

(٤) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٣٠

(٥) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ٦

(٦) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ٥٦

(٧)الكشاف ٣/٥١٩،٥١٨

(٨) وقد ورد ذلك في ثلاث عشرة آية في القرآن الكريم

(٩) جاء ذلك في موضعين فقط في القرآن الكريم

بخلاف الإخبار عنه فقد يجيء بهذا الوصف كقوله : (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النبي)(١) و (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ)(٢)

ويجيء باسمه العلم كقوله:(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ)(٣)

وقد يتعين إجراء اسمه العلم ليوصف بعده بالرسالة كقوله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) (٤).

وتلك مقامات يُقصد فيها تعليم الناس بأن صاحب ذلك الاسم هو رسول الله، أو تلقين لهم بأن يسموه بذلك ويدعوه به، فإن علم أسمائه من الإيمان لئلا يلتبس بغيره . (٥)

وفيما يلي عرض للسور المفتتحة بنداء النبي ﷺ :

١- سورة الأحزاب :

افتتحت هذه السورة بتوجيه النداء للنبي ﷺ وهذا إيذان بأن هذه السورة سيكون الحديث فيها عن أحواله ﷺ وقد وُجه إليه النداء فيها خمس مرات لأحوال وأغراض مختلفة من التشريع .

قال ابن عاشور : افتتاح السورة بخطاب النبي ﷺ وندائه بوصفه مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي ﷺ ، وقد

---

(١) سورة التحريم ٦٦ من الآية ٨

(٢) سورة الفرقان ٢٥ من الآية٣٠

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ٤٠

(٤) سورة الفتح ٤٨ من الآية ٢٩

(٥)التحرير والتنوير ٢٤٩/٢١

نودي فيها خمس مرات في افتتاح أغراض مختلفة من التشريع بعضها خاص به وبعضها يتعلق بغيره وله ملابسة .

فالنداء الأول: لافتتاح غرض تحديد واجبات رسالته نحو ربه. (١)

والنداء الثاني: لافتتاح غرض التنويه بمقام أزواجه واقترابه من مقامه.(٢)

والنداء الثالث: لافتتاح بيان تحديد تقلبات شؤون رسالته في معاملة الأمة. (٣)

والنداء الرابع: في طالعة غرض أحكام تزوجه وسيرته مع نسائه.(٤)

والنداء الخامس: في غرض تبليغه آداب النساء من أهل بيته ومن المؤمنات. (١)

---

(١) وذلك قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ١

(٢) وذلك قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية٢٨

(٣) وذلك قوله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ٤٥

(٤) وذلك قوله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية٥٠

فهذا النداء الأول افتتح به الغرض الأصلي لبقية الأغراض وهو تحديد واجبات رسالته في تأدية مراد ربه تعالى على أكمل وجه دون أن يفسد عليه أعداء الدين أعماله . (٢)

٢- سورة الطلاق :

وافتتحت هذه السورة بتوجيه النداء إليه ﷺ تكريماً ثم خوطب مخاطبة الجمع بقوله (إِذَا طَلَّقْتُمُ) تعظيماً له ،أو خُص النبي ﷺ بالنداء وجاء التعميم في الخطاب لأنه ﷺ الإمام والقدوة لأمته.

يقول أبو حيان : يا أيها النبي: نداء للنبي ، وخطاب على سبيل التكريم والتنبيه، إذا طلقتم: خطاب له ﷺ مخاطبة الجمع على سبيل التعظيم، أو لأمته على سبيل تلوين الخطاب، أقبل عليه السلام أولا،ثم رجع إليهم بالخطاب، أو على إضمار القول،أي قل لأمتك إذا طلقتم، أو له ولأمته، وكأنه ثم محذوف تقديره: يا أيها النبي وأمة النبي إذا طلقتم، فالخطاب له ولهم، أي أنت وأمتك، أقوال. (٣)

ويقول الزمخشري : خص النبي ﷺ بالنداء وعم بالخطاب ، لأن النبي إمام أمته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا

---

(١)وذلك قوله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ٥٩

(٢)التحرير والتنوير ٢٤٩/٢١

(٣)البحر المحيط لأبي حيان ١٩٦/١٠ الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

كيت وكيت، إظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه، وأنه مدرة قومه ولسانهم، والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه، فكان هو وحده في حكم كلهم، وسادا مسد جميعهم. (١)

٣- سورة التحريم :

افتتح الله ﷻ السورة الكريمة بتوجيه النداء إلى النبي ﷺ فقال: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) ، وفي توجيه النداء إليه ﷺ تنبيه إلى أن ما سيذكر بعد النداء، فوائد مهمة بالنسبة له ولسائر المسلمين، ومن هذه الفوائد ما ذكره الشيخ ابن عاشور حيث قال :

أغراض هذه السورة ما تضمنه سبب نزولها أن أحدا لا يحرم على نفسه ما أحل الله له لإرضاء أحد إذ ليس ذلك بمصلحة له ولا للذي يسترضيه فلا ينبغي أن يجعل كالنذر إذ لا قربة فيه وما هو بطلاق لأن التي حرمها جارية ليست بزوجة، فإنما صلاح كل جانب فيما يعود بنفع على نفسه أو بنفع به غيره نفعا مرضيا عند الله وتنبيه نساء النبي ﷺ إلى أن غيرة الله على نبيه أعظم من غيرتهن عليه وأسمى مقصدا ، وأن الله يطلعه على ما يخصه من الحادثات.

وأن من حلف على يمين فرأى حنثها خيرا من برها أن يكفر عنها ويفعل الذي هو خير.

وتعليم الأزواج أن لا يكثرن من مضايقة أزواجهن فإنها ربما أدت إلى الملال فالكراهية فالفراق.

---

(١)الكشاف ٤/٥٥٢

وموعظة الناس بتربية بعض الأهل بعضا ووعظ بعضهم بعضا.

وأتبع ذلك بوصف عذاب الآخرة ونعيمها وما يفضي إلى كليهما من أعمال الناس صالحاتها وسيئاتها.

وذيل ذلك بضرب مثلين من صالحات النساء وضدهن لما في ذلك من العظة لنساء المؤمنين ولأمهاتهم (١)

٤ – سورة المزمل :

(الْمُزَّمِّلُ)، بتشديد الزاي وكسر الميم، أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي وهذه قراءة الجمهور، وقرأ أُبي: المتزمل على الأصل وعكرمة: بتخفيف الزاي ، أي المزمل جسمه أو نفسه،وقرأ بعض السلف: بتخفيف الزاي وفتح الميم، أي الذي لُف . (٢)

وفي ندائه ﷺ بهذا الوصف تأنيس له وملاطفة وإشعارا لترك العتب والتأنيب وتنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى .

يقول القرطبي : وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان: إحداهما الملاطفة، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب

(١)التحرير والتنوير ٣٤٥/٢٨

(٢)البحر المحيط ٣١١/١٠

فاطمة رضي الله عنهما، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له: (قم يا أبا تراب) (١) إشعارا له أنه غير عاتب عليه، وملاطفة له ، وكذلك قوله ﷺ لحذيفة: (قم يا نومان) (٢) وكان نائما ملاطفة له، وإشعارا لترك العتب والتأنيب، فقول الله تعالى لمحمد ﷺ : يا أيها المزمل قم فيه تأنيس وملاطفة، ليستشعر أنه غير عاتب عليه.

والفائدة الثانية : التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه إلى قيام الليل

وذكر الله تعالى فيه، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة . (٣)

٥- سورة المدثر :

قوله: (المدثر) : اسم فاعل من تَدَثَّر، وأصلُه المُتَدَثِّر، فأُدْغِم ومعنى «تَدَثَّر» لَبِسَ الدَّثارَ، وهو الثوبُ الذي فوق الشِّعار، والشِّعارُ ما يلي الجسد. (٤)

وقد نودي ﷺ بهذه الصفة ملاطفة في الخطاب من الله ﷻ له إذ ناداه بحاله ، وعبر عنه بصفته، ولم يقل يا محمد ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه ﷻ .

---

(١) صحيح البخاري باب نوم الرجال في المسجد ٤٤١ ٩٦/١

(٢) صحيح مسلم باب غزوة الأحزاب ١٧٨٨ ، ١٤١٤/٣

(٣) تفسير القرطبي ٣٣/١٩

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٥٣٣/١٠ المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق

والسبب في تدثره ﷺ هو ما جاء في صحيح البخاري ومسلم في سبب نزول قوله تعالى (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي: " بينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، قال رسول الله ﷺ: "فجئثت منه فرقا ، وجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فدثروني" فأنزل الله (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ..) إلى قوله: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) قال: ثم تتابع الوحي.(١).(٢)

ثانياً : في بيان السور المفتتحة بنداء الأمة:

٢،١ - سورتا النساء والحج :

وفيهما مسألتان :

أما الأولى : فهي أن هاتين السورتين الكريمتين افتتحتا بقوله (يا أَيُّهَا النَّاسُ) وهذا نداء شامل لجميع المكلفين من وقت نزولهما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لأن لفظ الناس لا يختص بقبيل دون قبيل، ولا بقوم دون قوم، ويدل عليه دخول الألف واللام المفيدة

---

(١) صحيح البخاري باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ١١٦/٤ رقم ٣٢٣٨ ، ومسلم باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١٤٣/١ رقم ١٦١

(٢)جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٧/٢٣

للاستغراق ولأن ما في مضمون هذا النداء من إنذار وتبشير وأمر بمراقبة الله وخشيته، يتناول جميع المكلفين لا أهل مكة وحدهم.

يقول أبو حيان : والظاهر في الناس: العموم، لأن الألف واللام فيه تفيده، وللأمر بالتقوى وللعلة، إذ ليسا مخصوصين بل هما عامان.

وقيل : المراد بالناس أهل مكة، كأن صاحب هذا القول ينظر إلى قوله : (تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) (١) لأن العرب هم الذين يتساءلون بذلك، يقول: أنشدك بالله وبالرحم.

وقيل: المراد المؤمنون نظرا إلى قوله: (إنما المؤمنون إخوة) (٢) وقولهﷺ: «المسلم أخو المسلم»(٣)

والأغلب أنه إذا كان الخطاب والنداء بيا أيها الناس وكان للكفرة فقط، أو لهم مع غيرهم أعقب بدلائل الوحدانية والربوبية، لأنهم غير عارفين بالله، فنبهوا على الفكر في ذلك لأن يعرفوا نحو:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) (٤) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)(٥) .

---

(١) سورة النساء ٤ من الآية ١

(٢) سورة الحجرات ٤٩ من الآية ١٠

(٣)صحيح البخاري باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ١٢٨/٣ رقم ٢٤٤٢

(٤)سورة فاطر ٣٥ من الآية ٥

(٥) سورة البقرة ٢ من الآية ٢١

وإذا كان الخطاب للمؤمنين أعقب بذكر النعم لمعرفتهم بالربوبية.(١)

وأما المسألة الثانية : فهي أن هاتين السورتين الكريمتين جعل اللهﷻ مطلعهما واحد وهو قوله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ) (٢) وسورة النساء هي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن وسورة الحج هي أيضا السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن وفي سورة النساء علل الأمر بالتقوى بما يدل على معرفة المبدأ بقوله تعالى :(الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (٣) وفي سورة الحج علل الأمر بالتقوى بما يدل على كمال معرفة المعاد بقوله تعالى : (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)(٤)

يقول الفخر : المسألة الثانية: أنه تعالى جعل هذا المطلع مطلعا لسورتين في القرآن:

إحداهما: هذه السورة وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن .

---

(١)البحر المحيط ٣/٤٩٣

(٢) سورة النساء ٤ من الآية ١ والحج ٢٢ من الآية ١

(٣) سورة النساء ٤ من الآية ١

(٤) سورة الحج ٢٢ من الآية ١

والثانية: سورة الحج، وهي أيضا السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن، ثم إنه تعالى علل الأمر بالتقوى في هذه السورة بما يدل على معرفة المبدأ، وهو أنه تعالى خلق الخلق من نفس واحدة، وهذا يدل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وكمال حكمته وجلاله.

وعلل الأمر بالتقوى في سورة الحج بما يدل على كمال معرفة المعاد، وهو قوله: (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) .

فجعل صدر هاتين السورتين دلالة على معرفة المبدأ ومعرفة المعاد، ثم قدم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد.(١)

٣ – سورة المائدة :

افتتحت هذه السورة بقوله تعالى:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)(٢) ، وقد وجَّه الله النداء للمؤمنين بوصف الإيمان ليحثهم على امتثال ما يكلفهم به، فإن شأن المؤمنين الانقياد لما يكلفون به من ربهم، أي يا مَن اتصفتم بالإيمان ونبذتم كل ما يدعو إليه الشيطان أوفوا بالعقود أي العهود التي عقدتموها بينكم وبين الله أو بينكم وبين الناس، وهي التكاليف التي ألزمكم الله بها والتزمتموها، مما أحل الله وحرم وما أخَّذ الله من الميثاق على من أقر بالإيمان بالنبي والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض وأحكام الحلال والحرام ، ومن هذه التكاليف: ما

---

(١)مفاتيح الغيب ٤٧٦/٩

(٢) سورة المائدة ٥ من الآية ١

يعقده الناس بعضهم مع بعض من عقود المعاملات، وهذه العقود ستة هي: عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين.(١)

٤ - سورة الحجرات :

افتتح الله ﷻ هذه السورة بتوجيه النداء لجماعة المؤمنين قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (٢)

وذلك للفت انتباههم إلى أمر عظيم يستدعى مزيد الاعتناء بشأنه واهتمامهم بتلقيه ومراعاته وهو عدم تقديم أمر من الأمور إلا بعد أن يحكم الله به ورسوله ﷺ ولذلك وصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة ورادع عن الإخلال به.

يقول الشيخ إسماعيل حقي : تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما في حيزه أمر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة ورادع عن الإخلال به (لا تُقَدِّمُوا أمراً) من الأمور

---

(١)التفسير المنير للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي ٦٦/٦ الناشر : دار الفكر المعاصر دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

(٢) سورة الحجرات ٤٩ من الآية ١

(بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ولا تقطعوه إلا بعد أن يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل وإما مقتدين بالنبي المرسل ﷺ (١)

وقد جاء نداء المؤمنين في هذه السورة خمس مرات :

الأولى: لبيان وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ .

والثانية : لبيان وجوب احترام النبي ﷺ .

والثالثة : لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على أخبار الفسَّاق .

والرابعة : للنهي عن إيذاء المؤمنين .

والخامسة : لبيان وجوب الاحتراز عن إهانة المؤمنين حال غيبتهم.

يقول الإمام الرازي : هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى أو مع الرسول ﷺ أو مع غيرهم من أبناء الجنس، وهم على صنفين، لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجين عنها وهو الفاسق والداخل في طائفتهم السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم فهذه خمسة أقسام :

أحدها: يتعلق بجانب الله ، وثانيها: بجانب الرسول ، وثالثها: بجانب الفساق ، ورابعها: بالمؤمن الحاضر ، وخامسها: بالمؤمن الغائب

---

(١) روح البيان لإسماعيل حقي ٦١/٩ الناشر: دار الفكر – بيروت ، وروح المعاني ٢٨٤/١٣

فذكرهم الله تعالى في هذه السورة خمس مرات يا أيها الذين آمنوا وأرشدهم في كل مرة إلى مكرمة مع قسم من الأقسام الخمسة :

فقال أولا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)(١) وذكر الرسول كان لبيان طاعة الله لأنها لا تُعلم إلا بقول رسول الله ﷺ .

وقال ثانيا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)(٢) لبيان وجوب احترام النبي ﷺ .

وقال ثالثا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) (٣) لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على أقوالهم ، فإنهم يريدون إلقاء الفتنة بينكم وبين ذلك عند تفسير قوله (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)(٤)

وقال رابعا:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ)(وَلَا تَنَابَزُوا)(٥)

لبيان وجوب ترك إيذاء المؤمنين في حضورهم والازدراء بحالهم.

وقال خامسا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) (١) لبيان وجوب الاحتراز

---

(١) سورة الحجرات ٤٩ من الآية ١

(٢) سورة الحجرات ٤٩ من الآية ٢

(٣) سورة الحجرات ٤٩ من الآية ٦

(٤) سورة الحجرات ٤٩ من الآية ٩

(٥) سورة الحجرات ٤٩ من الآية ١١

عن إهانة جانب المؤمن حال غيبته، وذكر ما لو كان حاضرا لتأذى، وهو في غاية الحسن من الترتيب . (٢)

٥- سورة الممتحنة :

افتتحت سورة الممتحنة بالنداء للمؤمنين(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) (٣).

وقد تضمن هذا النداء نهيهم عن موالاة أعداء الله وأعدائهم وتحذيرًا من إتيان مثل فعل حاطب ، وهو ما يفسره سبب نزول هذه الآيات .

يقول الألوسي : نزلت في حاطب بن عمرو أبي بلتعة- وهو مولى عبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى - .

أخرج الإمام أحمد والبخاري مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وجماعة عن علي ﷺ قال : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ (٤)

---

(١) سورة الحجرات ٤٩ من الآية ١٢

(٢) مفاتيح الغيب ٢٨/٩٨،٩٧

(٣) سورة الممتحنة ٦٠ من الآية ١

(٤) روضة خاخ : هي بخاءين معجمتين هذا هو الصواب الذي قاله العلماء كافة في جميع الطوائف وفي جميع الروايات والكتب وهي موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة . المنهاج شرح صحيح مسلم =

فإن بها ظعينة(١) معها كتاب فخذوه منها فأتوني به فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا: أخرجي الكتاب .

قالت : ما معي من كتاب قلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها(٢) فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب ابن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ .

فقال النبي ﷺ ما هذا يا حاطب؟! قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني .

فقال عمر ﷺ : دعني يا رسول الله أضرب عنقه ، فقال ﷺ : إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم

بن الحجاج للنووي ٥٥/١٦ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

(١) الظعينة : هنا الجارية وأصلها الهودج وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه واسم هذه الظعينة سارة مولاة لعمران بن أبي صيفي القرشي .المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ٥٥/١٦

(٢)عقاصها : هو بكسر العين أي شعرها المضفور وهو جمع عقيصة . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ٥٦/١٦

فقد غفرت لكم فنزلت : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) (١). (٢)

(١) صحيح البخاري باب الجاسوس وقول الله تعالى: {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء} سورة الممتحنة: ١ ٤/٥٩ رقم ٣٠٠٧

(٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١/١٩٣ ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان و روح المعاني ١٤/٢٦٠

المبحث الرابع

السور المفتتحة بالجمل الخبرية

أولاً: بيان حقيقة الخبر، والمقاصد والأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر، وكيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب :

١ – حقيقة الخبر :

الخبر: كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته ، أو هو : « ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به» نحو: (العلم نافع)، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم، وتلك الصفة ثابتة له (سواء تلفظنا بالجملة السابقة أم لم نتلفظ) لأن نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع، فهو أمر اتفق عليه الناس قاطبة، وقضت به الشرائع، وهدت إليه العقول، بدون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر .

والمراد بكذبه عدم مطابقته له، فجملة :(العلم نافع) إن كانت نسبته الكلامية (وهي ثبوت النفع المفهومة من تلك الجملة) مطابقة للنسبة الخارجية – أي موافقة لما في الخارج والواقع – فصدق ، وإلا فكذب نحو (الجهل نافع) فنسبته الكلامية ليست مطابقة ولا موافقة للنسبة الخارجية.(١)

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد إبراهيم مصطفى الهاشمي ١/٥٨،٥٧ بتلخيص وتصرف ، ضبط د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت

٢ - المقاصد والأغراض التي من أجلها يلقى الخبر :

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

الأول : إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، إذا كان جاهلا له، ويسمى هذا النوع : " فائدة الخبر" نحو «الدين المعاملة» .

الثاني : إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضا بأنه يعلم الخبر كما تقول: لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان - وعلمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان، ويسمى هذا النوع: " لازم الفائدة " لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظن به.

٣ - كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب :

حيث كان الغرض من الكلام الإفصاح والإظهار، يجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض، يشخص حالته، ويعطيه ما يناسبها، فحق الكلام أن يكون بقدر الحاجة،لا زائدا عنها، لئلا يكون عبثا، ولا ناقصا عنها ، لئلا يخل بالغرض ، وهو الإفصاح والبيان .

لهذا: تختلف صور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث أحوال:

الأولى :أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر،غير متردد فيه، ولا منكر له وفي هذه الحال لا يؤكد له الكلام، لعدم الحاجة إلى التوكيد نحو قوله تعالى(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)(١)

ويسمى هذا الضرب من الخبر (ابتدائيا) ويستعمل هذا الضرب حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمصادفته إياه خاليا .

الثانية :أن يكون المخاطب مترددا في الخبر، طالباً الوصول لمعرفته، والوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد الكلام المُلقى إليه تقوية للحكم، ليتمكن من نفسه، ويطرح الخلاف وراء ظهره، نحو:إن الأمير منتصر ويسمى هذا الضرب من الخبر (طلبيا) ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب شاكا في مدلول الخبر، طالبا التثبت من صدقه.

الثالثة: أن يكون المخاطب منكرا للخبر الذي يراد إلقاؤه إليه، معتقدا خلافه فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر، على حسب حاله من الإنكار- قوة وضعفا- نحو: إن أخاك قادم ، أو إنه لقادم ، أو والله إنه لقادم أو لعمري: إن الحق يعلو ولا يعلى عليه.

ويسمى هذا الضرب من الخبر(إنكاريا) ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب منكرا، وكما يكون التأكيد في الإثبات ،يكون

---

(١) سورة الكهف ١٨ من الآية ٤٦

في النفي أيضا،نحو:ما المقتصد بمفتقر،ونحو: والله ما المستشير بنادم(١)

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ٥٧،٥٨/١ بتلخيص وتصرف

ثانياً : بيان السور التي بدأت بالجمل الخبرية :

افتتح الله ﷻ في كتابه ثلاثاً وعشرين سورة بالجملة الخبرية (١) وبيانها كالآتي :

١ – سورة الأنفال :

افتتحت هذه السورة بقوله ﷻ (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ) (٢) وفي افتتاحها بـــالسؤال عن الأنفال إيماء إلى أن المسلمين لم يكونوا يعلمون حكم الأنفال ولذلك سألوا رسول الله ﷺ عنها، إما بالسؤال الصريح للنبيﷺ وإما بسؤال غيره .

يقول ابن عاشور : افتتاح السورة بـــ يسئلونك عن الأنفال مؤذن بأن المسلمين لم يعلموا ماذا يكون في شأن المسمى عندهم الأنفال وكان ذلك يوم بدر، وأنهم حاوروا رسول الله ﷺ في ذلك، فمنهم من يتكلم بصريح السؤال، ومنهم من يخاصم أو يجادل غيره بما يؤذن حاله بأنه يتطلب فهما في هذا الشأن . (٣)

٢ – سورة التوبة :

افتتحت هذه السورة بقوله ﷻ (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٤)

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣٦١/٣ بتصرف

(٢) سورة الأنفال ٨ من الآية ١

(٣) التحرير والتنوير ٢٤٨/٩

(٤) سورة التوبة ٩ الآية ١

وهي جملة خبرية تفيد تبرؤ الله ﷻ والرسول ﷺ مما عاهد عليه المسلمون المشركين وذلك بعد إذنه ﷻ أولاً في معاهدة المشركين .

يقول الزمخشري : والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم ، فإن قلت: لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؟ قلت: قد أذن الله في معاهدة المشركين أولاً فاتفق المسلمون مع رسول الله ﷺ وعاهدوهم، فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ إليهم، فخوطب المسلمون بما تجدّد من ذلك فقيل لهم: اعلموا أنّ الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين. (١)

٣ – سورة النحل :

افتتحت سورة النحل بقوله تعالى :(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٢) وهي جملة خبرية تفيد إتيان ما استعجل به المشركون مما وعدوا به من الله ﷻ .

و(أتى) إما بمعنى المضي، والمعنى: أتى أمر الله وعدًا فلا تستعجلوه وقوعا، وإما بمعنى أتت أماراته . وقيل: عبر بالماضي عن المضارع لقرب وقوعه وتحققه .

والمراد بـ (أَمْرُ اللَّهِ) إما يوم القيامة وإما نصر رسول الله ﷺ وظهوره على الكفار، أو ما استعجلوا به من نزول العذاب بهم يوم بدر.(١)

---

(١) الكشاف ٢/٢٤٣

(٢) سورة النحل ١٦ الآية

٤ – سورة الأنبياء :

افتتحت بقوله تعالى : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) (٢) وهو افتتاح بديع لما فيه من غرابة الأسلوب وإدخال الروع على المنذرين . (٣)

فالآية تفيد دنو واقتراب حساب الناس على الأعمال التي عملوها في الدنيا ، والنعم التي أنعم الله بها عليهم وقد كانوا في الدنيا في سهو وغفلة عما الله فاعل بهم في الآخرة .

يقول الطبري : يقول تعالى ذكره: دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسألته إياهم ماذا عملوا فيها؛ وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا أمره فيها؟ .

(وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه، والاستعداد له،

---

(١)البحر المحيط بتصرف وتلخيص ٦/٥٠٤،٥٠٣

(٢) سورة الأنبياء ٢١ الآية ١

(٣) التحرير والتنوير بتصرف ٨/١٧

والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء، وشديد الأهوال. (١)

٥ – سورة المؤمنون :

قال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) (٢) افتتحت السورة بهذه الجملة الخبرية المؤكدة بـــ (قَدْ) لتفيد تحقق وقوع الفلاح للمؤمنين في الدنيا والآخرة فلاحاً كاملاً في كل شيء رغبوا فيه .

يقول ابن عاشور : افتتاح بديع لأنه من جوامع الكلم فإن الفلاح

غاية كل ساع إلى عمله، فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب، فكأنه قيل: قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه.

وأكد هذا الخبر بحرف (قد) الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق أي التوكيد، فحرف (قد) في الجملة الفعلية يفيد مفاد (إن واللام) في الجملة الاسمية، أي يفيد توكيدا قويا.

وحذف المتعلق للإشارة إلى أنهم أفلحوا فلاحا كاملا.

والفلاح: الظفر بالمطلوب من عمل العامل، ونيط الفلاح بوصف الإيمان للإشارة إلى أنه السبب الأعظم في الفلاح فإن الإيمان وصف جامع للكمال لتفرع جميع الكمالات عليه. (١)

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٤٠٩/١٨

(٢) سورة المؤمنون ٢٣ الآية ١

٦- سورة النور :

افتتحت سورة النور بقوله تعالى : (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٢)

وقد خصت بهذا الافتتاح العجيب لما اشتملت عليه من الزجر والوعيد، و تشريف النبي ﷺ بطهارة نسائه والحديث عن الأسرة وآداب الحياة الزوجية الصحيحة وغير ذلك .

يقول الماوردي : قوله تعالى: {سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا} أي هذه سورة أنزلناها ويحتمل أن يكون قد خصها بهذا الافتتاح لأمرين: أحدهما: أن المقصود الزجر والوعيد فافتتحت بالرهبة كسورة التوبة الثاني: أن فيها تشريفاً للنبي ﷺ بطهارة نسائه . (٣)

ويقول الدكتور حجازي : ولعل السر في بدء هذه السورة بهذا البدء العجيب هو أن يسترعى انتباه المسلمين لها، فينظروا إلى ما فيها من أحكام ومواعظ، ويعملوا به.

وهذه السورة حقيقة بهذه العناية فقد عالجت ناحية من أخطر النواحي ناحية الأسرة وما يحفها، وبخاصة العرض وأثره والخوض فيه، ثم ذكرت قصة الإفك وما فيها من آداب وحكم غالية وإشارات سامية،

---

(١)التحرير والتنوير بتلخيص ٨/١٨

(٢) سورة النور ٢٤ الآية ١

(٣) النكت والعيون للماوردي ٧٠/٤ تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية بيروت

وما يستتبع ذلك من الأمر بغض النظر، والاستئذان وغير ذلك مما يساعد على العفة، وعلى العموم ففي هذه السورة أسس الحياة المنزلية وآداب الحياة الزوجية الصحيحة، وما يتصل بذلك . (١)

٧ – سورة الزمر :

قال تعالى :(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)(٢) افتتحت السورة بالتنويه بالقرآن الكريم وهي فاتحة أنيقة جُعلت مقدمة لهذه السورة لأن القرآن جامع لما حوته وغيره من أصول الدين ، ثم أتبع ذلك ذكر بعض أسمائه الحسنى،المتضمنة صفاته العليا لبيان عظمة القرآن العظيم، وجلالة شأنه وأهمية نزوله.

قال ابن عاشور: فاتحة أنيقة في التنويه بالقرآن جعلت مقدمة لهذه السورة لأن القرآن جامع لما حوته وغيره من أصول الدين. (٣)

ويقول الإمام الشنقيطي : قوله تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) قد دل استقراء القرآن العظيم، على أن الله جل وعلا، إذا ذكر تنزيله لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى، المتضمنة صفاته العليا.

---

(١)التفسير الواضح للمؤلف: محمد محمود حجازي، ٢/٦٥٠،٦٤٩
الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ

(٢) سورة الزمر ٣٩ الآية ١

(٣)التحرير والتنوير ٢٣/٣١٤

ففي أول هذه السورة الكريمة، لما ذكر تنزيله كتابه، بين أن مبدأ تنزيله كائن منه جل وعلا، وذكر اسمه الله، واسمه العزيز، والحكيم ، وذكر مثل ذلك في أول سورة الجاثية، وفي أول سورة الأحقاف .

وقد تكرر كثيرا في القرآن، ذكره بعض أسمائه وصفاته، بعد ذكر تنزيل القرآن العظيم، ولا يخفى أن ذكره جل وعلا هذه الأسماء الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنزيل هذا القرآن العظيم، يدل بإيضاح، على عظمة القرآن العظيم، وجلالة شأنه وأهمية نزوله . (١)

٨ – سورة محمد ﷺ:

قال تعالى : (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) (٢)

افتتح الله ﷻ هذه السورة ببيان بطلان أعمال الكافرين مهما قدموا من أعمال البر والإحسان طالما أنها كانت ليست خالصة لله ﷻ ، وقبول أعمال المؤمنين ومحو سيئاتهم بإيمانهم وعملهم الصالح .

قال الإمام الخازن : قوله ﷻ (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) يعني أبطلها ولم يتقبلها منهم، وأراد بالأعمال: ما كانوا يفعلون من أعمال البر في إطعام الطعام، وصلة الأرحام وفك العاني وهو الأسير، وإجارة المستجير، ونحو ذلك.

---

(١)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطي ٣٥١/٦ بتلخيص الناشر دار الفكر بيروت – لبنان عام النشر ١٩٩٥م

(٢) سورة محمد الآية ١

(أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ) يعني أبطلها لأنها كانت لغير الله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) الأولى أنه عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله ليشمل جميع المؤمنين (وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ) يعني القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ (كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ) يعني ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم (وَأَصْلَحَ بالَهُمْ) يعني حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق في أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم. (١)

٩ – سورة الفتح :

افتتحت سورة الفتح بهذه البشارات السامية ، والمدائح العالية للنبي ﷺ قال تعالى:(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) (٢) والمقصود بالفتح في الآية صلح الحديبية وذلك لما ترتب عليه من خيرات كثيرة، ومنافع جمة للمسلمين ، بدخول عدد كبير من الناس في الإسلام ، وانتشار الأمن والآمان بين المسلمين ، وانتشار الدعوة ، ولهذا أكد الله تحقق هذا الفتح بمؤكدات ثلاثة وهي(إن ، والمصدر "فتحاً " والوصف " مبينا ") لإدخال السرور على قلوب المؤمنين .

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ١٣٩/٤ بتصرف وتلخيص تحقيق محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى – ١٤١٥ هـ

(٢) سورة الفتح ٤٨ الآية ١

جاء في التفسير الوسيط : الذي عليه المحققون من العلماء أن المراد

بالفتح هنا: صلح الحديبية ويشهد لذلك أحاديث متعددة ، ولأن هذا

الصلح قد ترتب عليه من المنافع للدعوة الإسلامية ما يجعله من أعظم الفتوح، إن لم يكن أعظمها ، لقد ترتب عليه أن انتشر الأمان بين المسلمين والمشركين، فاستطاع المسلمون أن ينشروا دعوة الحق في مكة وفي غيرها، كما استطاعوا أن ينتقلوا من مكان إلى آخر للتبشير بدينهم، فترتب على ذلك أن دخل في الإسلام عدد كبير من الناس.

وقد أكد ﷻ هذا الفتح بثلاثة أنواع من المؤكدات، وهي «إن» والمصدر «فتحا» والوصف «مبينا» وذلك للمسارعة إلى تبشير المؤمنين بتحقق هذا الفتح ، ولإدخال السرور على قلوبهم، بعد تلك الشروط التي اشتمل عليها الصلح، والتي ظنها بعضهم أن فيها إجحافا بالمسلمين. (١)

١٠ – سورة القمر:

افتتح الله تعالى هذه السورة بالحديث عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها ، وذكر إحدى المعجزات الباهرات التي وقعت في زمان

---

(١) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ٢٥٨/١٣ بتلخيص وتصرف الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى

النبي ﷺ وهي انشقاق القمر فقال تعالى:(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)(١).

يقول ابن جزي :(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) أي قربت القيامة، ومعنى قربها أنها بقي لها من الزمان [شيء] قليل بالنسبة إلى ما مضى، ولذلك قال رسول الله ﷺ: (بعثت أنا والساعة كهاتين) (٢)، وأشار بالسبابة والوسطى (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) هذا إخبار بما جرى في زمان رسول الله ﷺ وذلك أن قريشا سألته آية فأراهم انشقاق القمر فقال ﷺ: (اشهدوا) (٣)، وقال ابن مسعود: "انشق القمر فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه"، وقيل: معنى انشق القمر أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل تردّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله . (٤)

---

(١) سورة القمر ٥٤ الآية ١

(٢) أخرجه البخاري باب قولهﷺ«بعثت أنا والساعة كهاتين» ١٠٥/٨ رقم ٦٥٠٣

(٣) أخرجه البخاري باب (وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا) ١٤٢/٦ رقم ٤٨٦٥

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي الغرناطي ٣٢٢/٢ المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت ط: الأولى - ١٤١٦ هـ

١١ – سورة الرحمن :

قال تعالى (الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) (١)

افتتحت السورة الكريمة بهذا الاسم الجليل لله ﷻ وهو لفظ مشتق من الرحمة ، وصيغته الدالة على المبالغة ، تنبه إلى عظم هذه الرحمة وسعتها ، والذي من أهمها أنه علم القرآن ، وقيل إن اسم الرحمن مأخوذ من فواتح سور: (الر) (٢) و (حم) (٣) و (ن) (٤).

قال الفخر : افتتح الله تعالى السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة وهو انشقاق القمر، فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هَدِّ الجبال وَقَدِّ الرجال، وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم، فإن شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب . (٥)

ويقول القرطبي : قوله تعالى: (الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي: (الرحمن) فاتحة ثلاث سور إذا جمعن كن اسما من

---

(١) سورة الرحمن ٥٥ الآيتان ١،٢

(٢) فاتحة الآية الأولى من سور : يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحج

(٣) الآية الأولى من سور : غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف

(٤) الآية الأولى من سورة القلم

(٥) مفاتيح الغيب ٣٣٥/٢٩

أسماء الله تعالى (الر) و (حم) و (ن) فيكون مجموع هذه (الرحمن) ، (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) أي علمه نبيه ﷺ حتى أداه إلى جميع الناس.(١)

١٢ – سورة المجادلة :

قال تعالى :(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (٢)

افتتحت هذه السورة ببيان سماع الله ﷻ قول المجادِلة التي شكت إليه تعالى، ولهذا روي عن عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت حين نزلت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادِلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله تعالى (قَدْ سَمِعَ).(٣)

يقول الألوسي : الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت ، وذلك أن زوجها أوسا كان شيخا كبيرا قد ساء خلقه فدخل عليها يوما فراجعته بشيء فغضب قال: أنت علي كظهر أمي.

وكان الرجل في الجاهلية إذا قال ذلك لامرأته حرمت عليه– وكان

---

(١) تفسير القرطبي ١٥٢/١٧

(٢) سورة المجادلة ٥٨ الآية ١

(٣) صحيح البخاري : باب قول الله تعالى: { وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } سورة النساء ٤ من الآية ١٣٤ ٩/ ١١٧ رقم ١٣٤

هذا أول ظهار في الإسلام- فندم من ساعته فدعاها فأبت، وقالت: والذي نفس خولة بيده لا تصل إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله ﷺ فينا.

فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني- أي كثر ولدي- جعلني عليه كأمه وتركني إلى غير أحد فإن كنت تجد لي رخصة يا رسول الله تنعشني بها وإياه فحدثني بها ؟ .

فقال ﷺ : «والله ما أمرت في شأنك بشيء حتى الآن» ، وفي رواية «ما أراك إلا قد حرمت عليه» .

قالت: ما ذكر طلاقا، وجادلت رسول الله ﷺ مرارا ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدة وحدتي وما يشق علي من فراقه ، وفي رواية قالت: أشكو إلى الله تعالى فاقتي وشدة حالي وإن لي صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك وما برحت حتى نزل القرآن فيها.

فقال ﷺ : « يا خولة أبشري قالت: خيرا ؟ فقرأ ﷺ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ» الآيات . (١)

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي النيسابوري ٤١٠/١ المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، وروح المعاني ١٩٨/١٤،

١٣ – سورة الحاقة :

قال تعالى : (الحاقّةُ ما الحاقّةُ) (١) بدأت السورة الكريمة بالحديث عن يوم القيامة وقد سميت بذلك لتحقق وقوعها ولمعرفة الأشياء فيها على الحقيقة وفي هذا الافتتاح من التفخيم بشأنها وهولها ما فيه .

يقول الزمخشري :(الْحَاقَّةُ)الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء،التي هي آتية لا ريب فيها ،أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب، أو التي تحق فيها الأمور، أى: تعرف على الحقيقة، من قولك لا أحق هذا، أى:لا أعرف حقيقته ، جعل الفعل لها وهو لأهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها(مَا الْحَاقَّةُ) والأصل:الحاقة ما هي، أي أيُّ شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها، فوضع الظاهر موضع المضمر، لأنه أهول لها (وَما أَدْراكَ) وأىّ شيء أعلمك ما الحاقة، يعنى: أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها، على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه، وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك.(٢)

١٤ – سورة المعارج :

افتتحت هذه السورة بالحديث عمن طلبوا العذاب واستعجلوا نزوله في الدنيا استهزاء منهم وإنكارا له فبين الله ﷻ أنه واقع لا محالة، سواء

---

(١) سورة الحاقة ٦٩ الآيتان ١،٢

(٢)الكشاف ٥٩٨/٤

طُلب أم لم يطلب، لأنه نازل بالكافرين فى الآخرة لا يدفعه عنهم أحد فلماذا هم يطلبونه استهزاء فقال تعالى :(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) (١).

يقول أبو السعود : (سَأَلَ سَائِلٌ) أي دعا داع (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) أي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحرث حيث قال إنكارا واستهزاء (إِن كَانَ هَذَا هُوَ الحقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السماءِ أَوِ ائتنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (٢) .

وقيل أبو جهل حيث قال (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ) (٣) .

وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله ﷺ في علي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول ﷺ استعجل عذابهم وقرىء سأل وهو إما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر أو من السيلان ويؤيده أنه قرىء سال سيل أي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه إما في

---

(١) سورة المعارج ٧٠ الآية ١

(٢) سورة الأنفال ٨ من الآية ٣٢

(٣) سورة الشعراء ٢٦ من الآية ١٨٧

الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يومئذ صبرا وإما في الآخرة فهو عذاب النار والله أعلم . (١)

١٥- سورة نوح :

قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) (٢)

يخبر الله ﷻ أنه أرسل نوحا إلى قومه لينذرهم بأس الله ﷻ قبل حلوله بهم، وأمرهم أن يعبدوا الله وحده ويطيعوه، ووعدهم على ذلك غفران الذنوب والبركة في العمر ورفع العذاب عنهم .

يقول المراغي : أنذرهم بثلاثة أشياء:

(أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ) أي آمركم بعبادة الله وحده، والأمر بذلك يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب وأفعال الجوارح.

(وَاتَّقُوهُ) أي وآمركم بتقواه وخوف عذابه، بأن تتركوا محارمه، وتجتنبوا مآثمه.

(وَأَطِيعُونِ) أي وانتهوا إلى ما آمركم به واقبلوا نصيحتى لكم.

ولما كلفهم بهذه الثلاثة الأشياء وعدهم عليها بشيئين:

---

(١)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ٢٩/٩ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٢) سورة نوح ٧١ الآية ١

(يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) أي إذا فعلتم ما أمركم به، وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر لكم ذنوبكم وسامحكم فيما فرط منكم من الزلات ، وفى هذا وعد لهم بإزالة مضار الآخرة عنهم، وأمنهم من مخاوفها.

(وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) أي ويمدّ فى أعماركم إلى الأمد الأقصى الذي قدره الله إذا آمنوا وأطاعوا وراء ما قدره لهم، على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان. (١)

١٦-١٧ : سورتا القيامة والبلد :

وقد اشتركتا في الافتتاح بقوله تعالى :(لا أُقْسِمُ) .

قال تعالى في سورة القيامة :(لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) (٢)

افتتح الله هذه السورة بالقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة والمراد بهذا القسم تعظيم يوم القيامة، والتنويه بالنفس الطامحة إلى الدرجة الرقيا.

يقول القاسمي : قال القاشاني: جمع بين القيامة والنفس اللوامة، في القسم بهما، تعظيما لشأنهما، وتناسبا بينهما إذ النفس اللوامة هي المصدقة بها، المقرة بوقوعها، المهيئة لأسبابها، لأنها تلوم نفسها أبدا

---

(١) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي ٧٩/٢٩ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

(٢) سورة القيامة ٧٥ الآية ١

في التقصير، والتقاعد عن الخيرات، وإن أحسنت، لحرصها على الزيادة في الخير، وأعمال البر، تيقنا بالجزاء، فكيف بها إن أخطأت وفرطت وبدرت منها بادرة غفلة ونسيانا.(١)

وقال تعالى في سورة البلد : (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) (٢)

أقسم الله ﷻ بالبلد الحرام، وحال كون النبي ﷺ مقيم فيه، إظهارا لمزيد فضله، وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله.

يقول صاحب الظلال : والبلد هو مكة بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس في الأرض ليكون مثابة لهم وأمنا يضعون عنده سلاحهم وخصوماتهم وعداواتهم ويلتقون فيه مسالمين حراما بعضهم على بعض كما أن البيت وشجره وطيره وكل حي فيه حرام ثم هو بيت إبراهيم والد إسماعيل أبي العرب والمسلمين أجمعين.

ويكرم الله نبيه محمدا ﷺ فيذكره ويذكر حله بهذا البلد وإقامته، بوصفها ملابسة تزيد هذا البلد حرمة، وتزيده شرفا، وتزيده عظمة وهي إيماءة ذات دلالة عميقة في هذا المقام والمشركون يستحلون حرمة

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٣٦٢/٩ المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

(٢) سورة البلد ٩٠ الآيات ١-٤

البيت، فيؤذون النبي والمسلمين فيه، والبيت كريم، يزيده كرما أن النبيﷺ حل فيه مقيم. (١)

١٨ – سورة عبس :

قال تعالى :(عَبَسَ وَتَوَلَّى أنْ جاءَه الأَعْمَى) (٢)

افتتحت هذه السورة بمعاتبة الله ﷻ لنبيه ﷺ على عبوسه في وجه الأعمى الذي جاءه ليتعلم منه ، حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفّة أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني، وأن النظر إلى المؤمن أولى وأصلح، وإن كان فقيرا من النظر إلى غيره وهو الإقبال على الأغنياء طمعا في إيمانهم، وإن كان فيه نوع من المصلحة أيضا .

يقول البغوي : (عَبَسَ) كلح (وَتَوَلَّى) أعرض بوجهه (أنْ جاءَه الأَعْمَى) أي: لأن جاءه الأعمى وهو ابن أم مكتوم، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ ، وهو يناجي صناديد قريش، يدعوهم إلى الله، يرجو إسلامهم، فقال ابن أم مكتوم: (يا رسول الله) أقرئني وعلمني مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعبيد والسفلة، فعبس وجهه وأعرض

---

(١) في ظلال القرآن للمؤلف: سيد قطب ٣٩٠٨/٦ الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ

(٢) سورة عبس ٨٠ الآية ١

عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال:(مرحبا بمن عاتبني فيه ربي).(١)

١٩ – سورة القدر :

قال تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (٢) افتتحت هذه السورة بالحديث عن القرآن الكريم وبيان عظمته ورفعته حيث أنزله في ليلة ذات منزلة رفيعة، وشرف عظيم .

يقول ابن عاشور : اشتملت هذه الآية على تنويه عظيم بالقرآن فافتتحت بحرف (إنَّ) وبالإخبار عنها بالجملة الفعلية، وكلاهما من طرق التأكيد.

ويفيد هذا التقديم قصرا وهو قصر قلب للرد على المشركين الذي نفوا أن يكون القرآن منزلا من الله تعالى.

وفي ضمير العظمة وإسناد الإنزال إليه تشريف عظيم للقرآن.

وفي الإتيان بضمير القرآن دون الاسم الظاهر إيماء إلى أنه حاضر في أذهان المسلمين لشدة إقبالهم عليه فكون الضمير دون سبق معاد إيماء إلى شهرته بينهم. (٣)

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ٤٧١/١ ، ومعالم التنزيل للبغوي ٣٣٢/٨ بتصرف ، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ،

(٢) سورة القدر ٩٧ الآية ١

(٣)التحرير والتنوير ٤٥٦/٣٠

٢٠ – سورة البينة :

قال تعالى : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) (١)

بيان من الله ﷻ بأن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين الذين جحدوا رسالة محمد ﷺ وأنكروا نبوته لم يكونوا مفارقين لكفرهم وما كان عليه آباؤهم حتى يأتيهم الرسول ﷺ يتلو لهم صحف القرآن

المطهرة من الخلط والزيغ والتدليس، والتي تنبعث منها أشعة الحق.

يقول الزمخشري : كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي ﷺ: لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل، وهو محمد ﷺ، فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال: (وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ) يعنى أنهم كانوا يعدُون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق: إذا جاءهم الرسول، ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول ﷺ، ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه: لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى، فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا، فيقول واعظه: لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر، وما

(١) سورة البينة ٩٨ الآية ١

غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار: يذكره ما كان يقوله توبيخا وإلزاما. (١)

٢١ – القارعة :

قال تعالى :(الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) (٢)

افتتحت السورة بلفظ القارعة وهو اسم من أسماء يوم القيامة تعظيماً لأمرها وتهويلا لشأنها ثم ذكرت السورة بعد ذلك بعضا من أهوالها وجزاء أصحاب الأعمال الصالحة ، وأصحاب الأعمال السيئة .

يقول ابن عاشور : الافتتاح بلفظ القارعة افتتاح مهول، وفيه تشويق إلى معرفة ما سيخبر به من إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال وإثبات الجزاء على الأعمال وأن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم، وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم. (٣)

٢٢ – سورة التكاثر :

قال تعالى : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) (٤)

---

(١) الكشاف ٧٨٢/٤

(٢) سورة القارعة ١٠١ الآيات ١-٤

(٣) التحرير والتنوير ٥٠٩/٣٠ بتصرف

(٤) سورة التكاثر ١٠٢ الآيتان ١،٢

افتتحت هذه السورة بالنهي عن الانشغال بالتباهي بالكثرة في المال والولد وشرف الآباء والأجداد وهذه الأمور الفانية حتى مجيء الموت عما فيه السعادة والنجاة في الآخرة.

يقول الزمخشري : والمعنى: أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات: عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم .

وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى: ألهاكم ذلك- وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم- عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم من كل مهم.

أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم، منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها، إلى أن أتاكم الموت لا همّ لكم غيرها، عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم (١)

٢٣ – سورة الكوثر :

قال تعالى : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (٢)

في هذه الآية يبشر الله ﷻ رسوله ﷺ بالخير الكثير الذي سيعطيه إياه في الدنيا والآخرة .

---

(١) الكشاف ٤/٧٩٢،٧٩١

(٢) سورة الكوثر ١٠٨ الآية ١

يقول ابن جزي : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) هذا خطاب للنبي ﷺ والكوثر بناء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال: الأول : حوض النبي ﷺ الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله له في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير، فإن قيل: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم الثالث: أن الكوثر القرآن الرابع :أنه كثرة الأصحاب والأتباع الخامس : أنه التوحيد السادس: أنه الشفاعة، السابع : أنه نور وضعه الله في قلبه، ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الكوثر هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء) (١) . (٢)

(١) صحيح مسلم باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة ٣٠٠/١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٥١٧/٢

المبحث الخامس

السور المفتتحة بالقَسَمْ

أولاً : تعريف القسم ، والغرض منه، وبما يكون القسم :

١ - القسم هو: جملة يؤكد بها الخبر، حتى إنهم جعلوا قوله تعالى:(وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)(١) قسما وإن كان فيه إخبار إلا أنه لما جاء توكيدا للخبر سمي قسما. (٢)

٢ - الغرض منه : تحقيق الخبر وتوكيده ، وقد جاء القسم في القرآن الكريم لكمال الحجة وتوكيدها وجريا على عادة العرب إذا أرادت توكيد أمر ما.

يقول السيوطي : والقصد بالقسم تحقيق الخبر توكيده وقد قيل: ما معنى القسم منه تعالى فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده!

وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادات أن تؤكد أمراً .

وأجاب أبو القاسم القشيري: بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها: وذلك أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة وإما بالقسم فذكر

---

(١) سورة المنافقون ٦٣ من الآية ١

(٢) البرهان للزركشي ٣/٤٠ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال:(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ)(١) وقال (قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ) (٢) (٣)

٣ – والقسم يكون : إما باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته وإما بالآيات المستلزمة لذاته وصفاته أو ببعض المخلوقات الدالة على عظيم آياته .

يقول ابن القيم: اعلم أنه ﷻ يقسم بأمور على أمور وإنما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة، بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنها من عظيم آياته . (٤)

ويقول الزركشي : ولا يكون إلا باسم معظم كقوله: (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ) (٥) وقوله: (قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ) (٦) وقوله: (قُلْ

---

(١) سورة آل عمران ٣ من الآية ١٨

(٢) سورة يونس ١٠ من الآية ٥٣

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٥٣/٤ ، والبرهان ٤١/٣

(٤) التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية المتوفى: ٧٥١هـ ، ١/١ المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان .

(٥) سورة الذاريات ٥١ من الآية ٢٣

(٦) سورة يونس ١٠ من الآية ٥٣

بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ) (١) وقوله: (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ) (٢) وقوله: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)(٣) وقوله:(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ)(٤)

وقوله:(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) (٥)

فهذه سبعة مواضع أقسم الله فيها بنفسه .

والباقي كله أقسم بمخلوقاته ، كقوله: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) (٦)

وقوله:(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (٧) وقوله: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) (٨) وإنما يحسن في مقام الإنكار. (٩)

ثانيا : في بيان السور التي بدأت بالقسم :

افتتح الله ﷻ في كتابه الكريم خمس عشرة سورة بالقسم .

---

(١) سورة التغابن ٦٤ من الآية ٧

(٢) سورة مريم ١٩ من الآية ٦٨

(٣) سورة الحجر ١٥ الآية ٩٢

(٤) سورة النساء ٤ من الآية ٦٥

(٥) سورة المعارج ٧٠ من الآية ٤٠

(٦) سورة التين ٩٥ الآية ١

(٧) سورة الواقعة ٥٦ الآيتان ٧٥،٧٦

(٨) سورة التكوير ٨١ الآيتان ١٥،١٦

(٩) البرهان ٣/٤١،٤٠

يقول السيوطي:"القسم" في خمس عشرة سورة،سورة أقسم فيها بالملائكة وهي:"والصافات" وسورتان بالأفلاك البروج والطارق ، وست سور بلوازمها : فالنجم قسم بالثريا ، والفجر بمبدأ النهار والشمس بآية النهار ، والليل بشطر الزمان ، والضحى بشطر النهار ، والعصر بالشطر الآخر أو بجملة الزمان ، وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر الذاريات والمرسلات ، وسورة بالتربة التي هي منها أيضا وهي: والطور، وسورة بالنبات وهي: والتين ،وسورة بالحيوان الناطق وهي: والنازعات ، وسورة بالبهيم وهي: والعاديات. (١)

وأتحدث عنها فيما يأتي بشيء من التفصيل فأقول وبالله التوفيق :

١ – سورة الصافات :

قال تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) (٢)

أقسم الله ﷻ في مطلع هذه السورة بطوائف الملائكة على إثبات أصل من أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها وهو توحيد الله ﷻ.

يقول الخازن : قوله ﷻ: (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) يعني الملائكة

---

(١)الإتقان في علوم القرآن ٣/٣٦١

(٢) سورة الصافات ٣٧ الآيات ١-٤

يتلون ذكر الله تعالى وهذا كله قسم أقسم الله ﷻ بهذه الأشياء وقيل فيه إضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى:(إِنَّ إِلَهَكُمْ لَواحِدٌ) وذلك أن كفار مكة قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الأصنام في قولهم . (١)

٢ – سورة البروج :

قال تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) (٢)

يُقسم الله بالسماء وبروجها، وهي: النجوم العظام لما فيها من أدلة واضحة على قدرة الله تعالى ووحدانيته .

يقول ابن القيم : ومن ذلك أقسامه سبحانه (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) التي تنزلها الشمس والقمر وفسرت بالنجوم أو نوع منها وفسرت بالقصور العظام وكل ذلك من آيات قدرته وشواهد وحدانيته فإن السماء كرة متشابهة الأجزاء والشكل الكروى لا يتميز منه جانب عن جانب بطول ولا قصر ولا وضع بل هو متساوي الجوانب فجعل هذه البروج في هذه الكرى على اختلاف صورها وأشكالها ومقاديرها يستحيل أن توجد بغير فاعل ويستحيل أن يكون فاعلها غير قادر ولا عالم ولا مريد ولا حي ولا حكيم وهذا ونحوه مما هدم قواعد الطبائعية والملاحدة والفلاسفة

---

(١)لباب التأويل في معاني التنزيل ١٥/٤ بتلخيص

(٢) سورة البروج ٨٥ الآية ١

الذين لا يثبتون للعالم رباً قادراً فاعلاً بالاختيار عالماً بتفاصيله حكيماً مدبراً له.(١)

٣ – سورة الطارق

قال تعالى:(والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب)(٢)

أقسم الله ﷻ في هذه السورة بهذا النجم – الطارق – والمراد به جنس النجوم على أنه ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها وقولها ويحصي ما تكتسب من خير أو شر .

يقول ابن القيم : ومن ذلك أقسامه سبحانه بـــ(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) وقد فسره بأنه (النَّجْمُ الثَّاقِبُ)الذي يثقب ضوؤه والمراد به الجنس لا نجم معين ومن عينه بأنه الثريا أو زحل فإن أراد التمثيل فصحيح وإن أراد التخصيص فلا دليل عليه ، والمقصود أنه سبحانه أقسم بالسماء ونجومها المضيئة وكل منها آية من آياته الدالة على وحدانيته والمقسم عليه ههنا حال النفس الإنسانية والاعتناء بها وإقامة الحفظة عليها وأنها لم تترك سدى بل قد أرصد عليها من يحفظ عليها أعمالها ويحصيها . (٣)

---

(١)التبيان في أقسام القرآن ٨٨/١

(٢)سور الطارق٨٦ الآيات ١-٣

(٣)التبيان في أقسام القرآن ١٠١/١،١٠٠

٤ – سورة النجم :

قال تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) (١)

يقسم الله ﷻ في مطلع هذه السورة بالثريا عند غروبه على تنزيه الرسول ﷺ وبراءته مما نسبه إليه أعداؤه من الضلال والغي .

يقول البيضاوي :(وَالنَّجْمِ إِذا هَوى) أقسم بجنس النجوم أو الثريا فإنه غلب فيها إذا غرب أو انتثر يوم القيامة (مَا ضَلَّ صاحِبُكُمْ) ما عدل محمدﷺ عن الطريق المستقيم، والخطاب لقريش(وَما غَوى) وما اعتقد باطلاً والخطاب لقريش، والمراد نفي ما ينسبون إليه. (٢)

٥ – سورة الفجر :

قال تعالى :(وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)(٣)

افتتح الله ﷻ السورة الكريمة بالقسم بخمسة أشياء لها شرفها وعظمها، ولها فوائدها الدينية والدنيوية، ولها دلالتها الواضحة على كمال قدرته ﷻ وهى: الفجر، والليالى العشر، والشفع، والوتر، والليل.

يقول ابن عاشور : القسم بهذه الأزمان من حيث إن بعضها دلائل بديع صنع الله وسعة قدرته فيما أوجد من نظام يظاهر بعضه بعضا من

---

(١) سورة النجم ٥٣ الآيات ١-٣

(٢)أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/١٥٧بتلخيص

(٣) سورة الفجر ٨٩ الآيات ١-٤

ذلك وقت الفجر الجامع بين انتهاء ظلمة الليل وابتداء نور النهار، ووقت الليل الذي تمحضت فيه الظلمة ، وهي مع ذلك أوقات لأفعال من البر وعبادة الله وحده مثل الليالي العشر، والليالي الشفع، والليالي الوتر. (١)

٦ – سورة الشمس :

قال تعالى : (وَالشَّمْسِ وَضُحاها وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها وَالنَّهارِ إِذا جَلَّاها وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها وَالسَّماءِ وَما بَناها وَالْأَرْضِ وَما طَحاها وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها) (٢)

افتتح ﷻ هذه السورة الكريمة، بالقسم بكائنات عظيمة النفع، جليلة القدر، لها آثارها في حياة الناس والحيوان والنبات، ولها دلالتها الواضحة على وحدانيته– تعالى– وكمال قدرته، وبديع صنعه.

يقول الدكتور وهبه الزحيلي : أقسم اللَّه تعالى في مطلع هذه السورة بسبعة أشياء، فقال:

١– ٢– (وَالشَّمْسِ وَضُحاها، وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها) أي أقسم بالشمس المضيئة نفسها وبالقمر المنير إذا تبعها في الطلوع بعد غروبها .

٣– ٤– (وَالنَّهارِ إِذا جَلَّاها، وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها) أي وأقسم بالنهار إذا جلّى الشمس وكشفها وأظهر تمامها، وأقسم بالليل إذا يغشى الشمس ويغطي ضوءها بظلمته.

---

(١)التحرير والتنوير ٣١٢/٣٠

(٢) سورة الشمس ٩١ الآيات ١–٧

٥- ٦- (وَالسَّماءِ وَما بَناها، وَالْأَرْضِ وَما طَحاها) أي وأقسم بالسماء وبناء اللّه تعالى لها بالكواكب، كأن كل كوكب لبنة في سقف أو قبّة تحيط بالأرض وأهلها، وأقسم بالأرض كوكب الحياة البشرية والذي بسطها من كل جانب، وجعلها ممهدة موطأة للسكنى.

٧- (وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها، فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) أي وأقسم بالنفس

الإنسانية، والذي خلقها سوية، مستقيمة، على الفطرة القويمة. (١)

٧ – سورة الليل :

قال تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) (٢)

في هذه الآيات الكريمة يقسم الله ﷻ بالليل والنهار وخلقه الذكر والأنثى على اختلاف عمل الإنسان في الدنيا والجزاء عليه في الآخرة بين محسن ومسيء .

يقول ابن القيم : أقسم بالليل وقت غشيانه وأتى بصيغة المضارع لأنه يغشى شيئاً بعد شيء وأما النهار فإنه إذا طلعت الشمس ظهر وتجلى وهلة واحدة .

ثم أقسم بخلق الذكر والأنثى وذلك يتضمن الإقسام بالحيوان كله على اختلاف أصنافه ذكره وأنثاه وقابل بين الذكر والأنثى كما قابل بين

---

(١)التفسير المنير ٢٥٩/٣٠ بتلخيص

(٢) سورة الليل ٩٢ الآيات ١-٤

الليل والنهار وكل ذلك من آيات ربوبيته فأخرج من الأرض ذكور الحيوان وإناثه على اختلاف أنواعها كما أخرج من السماء الليل والنهار بواسطة الشمس فيهما.

وأقسم سبحانه بزمان السعي وهو الليل والنهار وبالساعي وهو الذكر والأنثى على اختلاف السعي كما اختلف الليل والنهار والذكر والأنثى وسعيه وزمانه مختلف وذلك دليل على اختلاف جزائه وثوابه وأنه سبحانه لا يسوي بين من اختلف سعيه في الجزاء كما لم يسو بين الليل والنهار والذكر والأنثى . (١)

٨ – سورة الضحى :

قال تعالى :(وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (٢)

يقسم الله ﷻ بآيتين عظيمتين من آياته الدالتين على ربوبيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار على أنه ما تركك يا محمد وما كرهك، وعلى إنعامه وإكرامه له وإعطائه ما يرضيه وفي هذا تصديق لهﷺ.

يقول ابن القيم : فتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافى بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه ودع محمداً ربه .

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ١/٥٦،٥٥

(٢) سورة الضحى ٩٣ الآيات ١–٥

فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وأيضاً فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة فهذان للحس وهذان للعقل .

وأيضاً فإن الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمداً بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم .

فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ والجلالة التي على معانيها . (١)

٩ – سورة العصر :

قال تعالى : (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ) (٢)

يقسم الله بالدهر، لما فيه من العبر، وما يكون فيه من الأحوال المتناقضة التي تدل على أن لهذا الكون، ولهذا الدهر إلها هو المتصرف القادر فيه.

يقول الدكتور حجازي: ترى فيه- أي الدهر- ليلا ونهارا يتعاقبان، وترى فيه آية لليل وأخرى للنهار، ألست ترى فيه سراء، وضراء،

---

(١)التبيان في أقسام القرآن ٧٣/١

(٢) سورة العصر ١٠٣ الآيات ١-٣

وسعادة وشقاء وصحة ومرضا، وخوفا وأمنا، وإنسانا يموت من الجوع وآخر يهلك من الشبع، وهذا يموت من الغرق، وذاك يموت من الحرق، كل ذلك والعصر زمن لا دخل له في شيء أبدا، بل هذا يدل على أن للكون إلها هو خالقه ومدبره وهو المستحق لأنه يتوجه إليه وحده ويعبد(١)

١٠ – سورة الذاريات :

قال تعالى :(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) (٢)

أقسم الله ﷻ في هذه الآيات بالرياح على اختلاف أنواعها ووظائفها على أن البعث وما يحدث فيه مما أخبرنا به النبيﷺ حق لا ريب فيه.

جاء في بيان المعاني : قال تعالى: (وَالذَّارِياتِ ذَرْواً) الرياح التي تذر التراب وغيره فتفرقة وتبدده تشبيها بتذرية الهشيم لاجتماع التفرق في كل (فَالْحامِلاتِ وِقْرا) السحب التي تحمل المياه حملا ثقيلا (فَالْجارِياتِ يُسْراً) الفلك التي تجريها الرياح على الماء بسهولة وتؤدة، كما يشعر به قوله يسرا، ويراد بها السفن ذات الشراع .

(١) التفسير الواضح ٣/٩٠٠

(٢) سورة الذاريات ٥١ الآيات ١–٦

(فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً) الرياح التي تقسم الأمطار وتفرق السحب إلى حيث يشاء الله وبالمقدار الذي يعلمه الكائن بأمره، لا دخل ولا تأثير لها ولا لغيرها بشيء منه.

هذا وقد أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لعظم منافعها وجواب القسم قوله(إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ) حق لا خلف فيه فكل ما أخبركم به الرسول من البعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار صدق لا مرية فيه (وَإِنَّ الدِّينَ) الجزاء على الأعمال وغيرها حسنها وسيئها والحساب عليها (لَواقِعٌ) حتما والوعد به منجز حقا .(١)

١١ – سورة المرسلات :

قال تعالى : (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً وَالنَّاشِراتِ نَشْراً فَالْفارِقاتِ فَرْقاً) (٢)

أقسم ﷻ في هذه الآيات بطوائف من الملائكة أو الرياح على اختلاف بين المفسرين في معاني هذه الآيات ، على أن يوم القيامة حق واقع لا ريب فيه.

يقول ابن جزي : اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين:

---

(١) بيان المعاني للمؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) ٤/١٤٢،١٤١ الناشر: مطبعة الترقي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م

(٢) سورة المرسلات ٧٧ الآيات ١-٤

أحدهما : أنها الملائكة .

والآخر : أنها الرياح ، فعلى القول بأنها الملائكة سماهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحي وغيره، وسماهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى.

وسماهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو، وينشرون الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال وسماهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل.

وعلى القول بأنها الرياح، سماها المرسلات لقوله (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) (١) وسماها العاصفات من قوله:(رِيحٌ عاصِفٌ)(٢) أي شديدة ، وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب في الجو، وسماها الفارقات لأنها تفرق بين السحاب ، وأما الملقيات ذكرا فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام.

والأظهر في المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة ، والأظهر في الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ، ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح . (٣)

---

(١)سورة الروم ٣٠ من الآية ٤٨

(٢) سورة يونس ١٠ من الآية ٢٢

(٣)التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٤٤١

١٢ – سورة الطور :

قال تعالى:(وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ)(١)

يقسم الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع لا محالة بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم.

يقول المراغي : أقسم سبحانه بمخلوقاته العظيمة، الدالة على كمال قدرته، وبديع صنعته، وعدّ منها أماكن ثلاثة: – الطور، والبيت المعمور، والبحر المسجور– لأنبياء ثلاثة كانوا ينفردون للخلوة بربهم، والخلاص من الخلق لمناجاة الخالق، فانتقل موسى إلى الطور وخاطب ربه ، وانتقل محمد إلى البيت المعمور وناجى ربه ، وكلم يونس ربه فى البحر.

وقرن الكتاب بالطور لأن موسى كان ينزل عليه الكتاب وهو به،وقرن السقف المرفوع بالبيت المعمور ليعلم عظمة شأن محمد ﷺ، وأقسم بكل هذا على أن العذاب يوم القيامة نازل بأعدائه الذين يخوضون في الباطل ويتخذون الدين هزوا ولعبا . (٢)

---

(١) سورة الطور ٥٢ الآيات ١–٨

(٢)تفسير المراغي ١٨/٢٧

١٣ – سورة التين :

قال تعالى : (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) (١)

يقسم الله ﷻ على مبدأ خلق الإنسان ونهايته بهذه الثمار والأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام والأمم الكثيرة لما فيها من الآيات الدالة على وجوده وقدرته .

يقول ابن القيم : والتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما وهو أرض بيت المقدس فإنها أكثر البقاع زيتوناً وتيناً ، وقد قال جماعة من المفسرين أنه سبحانه أقسم بهذين النوعين من الثمار لمكان العزة فيهما فإن التين فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص لا عجم له وهو على مقدار اللقمة وهو فاكهة وقوت وغذاء وأدم ويدخل في الأدوية ومزاجه من أعدل الأمزجة.....

وأما الزيتون ففيه من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر فإن عوده يخرج ثمراً يعصر منه هذا الدهن الذي هو مادة النور وصبغ للآكلين وطيب ودواء وفيه من مصالح الخلق مالا يخفى وشجره باق على ممر السنين المتطاولة وورقه لا يسقط .

وهذا الذي قالوه حق ولا ينافي أن يكون منبته مراداً فإن منبت هاتين الشجرتين حقيق بأن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة فيكون الإقسام قد تناول الشجرتين ومنبتهما وهو مظهر عبد الله ورسوله

---

(١) سورة التين ٩٥ الآيات ١–٥

وكلمته وروحه عيسى بن مريم كما أن طور سينين مظهر عبده ورسوله وكليمه موسى فإنه الجبل الذي كلمه عليه وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه .

ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله سيد ولد آدم .

وأقسم بها على بداية الإنسان ونهايته فقال(لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) أي في أحسن صورة وشكل واعتدال معتدل القامة مستوى الخلقة كامل الصورة أحسن من كل حيوان سواه .

(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) أي إلى أسفل سافلين والصحيح أنه النار قاله مجاهد والحسن وأبو العالية قال علي ابن أبي طالب ﷺ هي النار بعضها أسفل من بعض وقالت طائفة منهم قتادة وعكرمة وعطاء والكلبي وإبراهيم أنه أرذل العمر وهو مروى عن ابن عباس والصواب القول الأول.

وذلك من أعظم الآيات الدالة على وجوده وقدرته وحكمته وعلمه وصفات كماله ولهذا يكررها كثيراً في القرآن لمكان العبرة بها والاستدلال بأقرب الطرق على وحدانيته وعلى المبدأ والمعاد . (١)

١٤ – سورة النازعات :

قال تعالى : (وَالنَّازِعاتِ غَرْقاً وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً وَالسَّابِحاتِ سَبْحاً فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً) (١)

---

(١)التبيان في أقسام القرآن ١/٤٣– ٤٥ بتلخيص

هذه أمور أقسم الله ﷻ بها على البعث يوم القيامة وهي صفات للملائكة أو لخيل الغزاه أو النجوم إذ ذلك من أعظم آياته ﷻ .

يقول الزمخشري : أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، وبالطوائف التي تنشطها أى تخرجها من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، وبالطوائف التي تسبح في مضيها، أى: تسرع فتسبق إلى ما أمروا به، فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم غَرْقاً إغراقا في النزع، أى: تنزعها من أقاصى الأجساد من أناملها وأظفارها.

أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب من قولك «ثور ناشط» إذا خرج من بلد إلى بلد، والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر، وإسناد التدبير إليها، لأنها من أسبابه .

أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع: أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب، والتي تخرج من برج إلى برج، والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب ، والمقسم عليه محذوف، وهو «لتبعثن» لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة. (٢)

---

(١) سورة النازعات ٧٩ الآيات ١-٥

(٢)الكشاف ٤/٦٩٣،٦٩٢

١٥ – سورة العاديات :

قال تعالى :(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) (١)

أقسم ﷻ في هذه الآيات بالخيل والتي لها من الصفات والأعمال ما يعلى شأنها فى نفوس عباده المؤمنين أهل الجد والعمل، وليعنوا بتربيتها وتعويدها الكرّ والفرّ، وليحملهم على العناية بالفروسية والتدرب على ركوبها والإغارة بها ليكون كل امرئ مسلم منهم عاملا ناصبا إذا جدّ الجد واضطرت الأمة إلى صد عدوّ أو بعثها باعث على كسر شوكته .

يقول البيضاوي : (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً) أقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحاً، وهو صوت أنفاسها عند العدو بمعنى ضابحة.

(فَالْمُورِياتِ قَدْحاً) فالتي توري النار، والإيراء إخراج النار يقال قدح الزند فأورى.

(فَالْمُغِيراتِ) يغير أهلها على العدو(صُبْحاً) أي في وقته.

(فَأَثَرْنَ) فهيجن(بِهِ) بذلك الوقت. (نَقْعاً) غباراً أو صياحاً.

(فَوَسَطْنَ بِهِ) فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو، أو بالنقع أي ملتبسات به (جَمْعاً) من جموع الأعداء، (إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) لكفور

(١) سورة النازعات ٧٩ الآيات ١-٦

من كَنَدِ النعمة كنوداً، أو لعاصٍ بلغة كندة، أو لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم. (١)

(١)أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٣١/٥ بتلخيص

المبحث السادس

السور المفتتحة بالشرط

أولاً : في بيان الشرط ، وأدواته ، ومم تتكون جملة الشرط ؟.

١- الشرط من أقسام معنى الكلام وقد زعم قوم أن معاني القرآن لا تنحصر ، وقيل: قسمان: خبر وغير خبر وقيل: عشرة: نداء ومسألة وأمر وتشفع وتعجب وقسم وشرط ووضع وشك واستفهام ، وقيل أقل من ذلك بإدخال بعضها في بعض .

٢ – الجملة الشرطية تنعقد من جملتين:

أولاهما: فعلية لتلائم الشرط مثل قوله ﷺ:(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ) (١) وقوله :(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ)(٢) وقوله :(إِنْ كُنْتَ جِئْتَ) (٣).

وثانيهما: قد تكون اسمية وقد تكون فعلية جازمة وغير جازمة أو ظرفية أو شرطية كما يقال: { فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ }(٤) { يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ }(٥) { فَأْتِ بِهَا }(٦).

---

(١)سورة النساء ٤ من الآية ١٢٤

(٢)سورة الأنعام ٦ من الآية ١٢٥

(٣)سورة الأعراف ٧ من الآية ١٠٦

(٤)سورة النساء ٤ من الآية ١٢٤

(٥)سورة الأنعام ٦ من الآية ١٢٥

(٦)سورة الأعراف ٧ من الآية ١٠٦

فإذا جُمع بينهما وبين الشرط اتحدتا جملة واحدة نحو قوله: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)(١) وقوله سبحانه: { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ }(٢) وقوله: { إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا }(٣).

فالأولى من جملة المجازاة تسمى شرطا والثانية تسمى جزاء ، ويسمي المناطقة الأول مقدما والثاني تاليا فإذا انحل الرباط الواصل بين طرفي المجازاة عاد الكلام جملتين كما كان.

٣ - أصل الشرط والجزاء أن يتوقف الثاني على الأول بمعنى أن الشرط إنما يستحق جوابه بوقوعه هو في نفسه كقولك: إن زرتني أحسنت إليك فالإحسان إنما استحق بالزيارة وقولك:إن شكرتني زرتك فالزيارة إنما استحقت بالشكر.

٤ - أدوات الشرط: حروف وهي (إن) ، وأسماء مضمّنة معناها ، ثم منها ما ليس بظرف (كمَنْ، وما ،وأيّ ، ومهما) وأسماء هي ظروف (أين ، وأينما ، ومتى ، وحيثما ، وإذ ما) وأقواها دلالة على الشرط "إن" لبساطتها ولهذا كانت أم الباب وما سواها فمركب من معنى"إن" وزيادة معه.

---

(١) سورة النساء ٤ من الآية ١٢٤

(٢) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٢٥

(٣) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٠٦

٥ – ومما ضمن معنى الشرط "إذا" وهي كـ "إن" ويفترقان في أنّ "إن" تستعمل في المحتمل المشكوك فيه ولهذا يقبح: إن احمر البسر كان كذا وإن انتصف النهار آتك وجوابها يكون بلفظ المضارع المحتمل للوقوع وعدمه ليطابق اللفظ والمعنى .

وتكون "إذا" في المعاني المحققة المجزوم بوقوعها ولذلك غلب لفظ

الماضي معها لكونه أدل على الوقوع باعتبار لفظه في المضارع قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) (١) بلفظ الماضي مع "إذا" في جواب الحسنة حيث أريد مطلق الحسنة لا نوع منها ولهذا عرفت تعريف العهد ولم تنكر كما نكر المراد به نوع منها في قوله تعالى:{ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ }(٢)

ومن ذلك قوله تعالى: { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ } (٣) أتى بـ "إذا" لما كان مس الضر لهم في البحر محققا بخلاف قوله تعالى: { لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ }(٤) فإنه لم يقيد مس الشر ها هنا بل أطلقه. (١)

---

(١) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٣١

(٢) سورة النساء ٤ من الآية ٧٨

(٣) سورة الإسراء ١٧ من الآية ٦٧

(٤) سورة فصلت ٤١ من الآية ٤٩

ثانياً : في بيان السور التي بدأت بالشرط في القرآن الكريم :

افتتحت سبع سور في القرآن الكريم بالشرط وهي : "الواقعة"، والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والنصر. (٢) ، وقد اتفقت هذه السور في الافتتاح بأداة الشرط (إذا) وهي ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه .

وسأتكلم فيما يلي عن كل فاتحة بشيء من التفصيل :

١ – سورة الواقعة :

قال تعالى : (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) (٣)

افتتحت الآية بأداة الشرط "إذا"والعامل فيها إما الفعل الواقع بعدها وإما محذوف والتقدير: إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ كان كيت وكيت وجاء الفعل بعدها بلفظ الماضي ليفيد تحقق الوقوع .

يقول الألوسي : وإذا ظرف متضمن معنى الشرط على ما هو الظاهر، والعامل فيها عند أبي حيان الفعل بعدها فهي عنده في موضع نصب- بوقعت- كسائر أسماء الشرط وليست مضافة إلى الجملة،

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم٢/٣١٦-٣٨٢ بتلخيص وتصرف الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٣/٣٦١

(٣) سورة الواقعة ٥٦ الآية ١

والجمهور على إضافتها فقيل: هي هنا قد سلبت الظرفية ووقعت مفعولا به لا ذكر محذوفا، وقيل: لم تسلب ذلك وهي منصوبة بليس، وصنيع الزمخشري يشعر باختياره ، وقيل: بمحذوف وهو الجواب أي إذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ كان كيت وكيت، قال في الكشف: هذا الوجه العربي الجزل (١)

٢ – سورة المنافقون :

قال تعالى : (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) (٢)

افتتحت هذه الآية بالشرط وأداته إذا والجواب إما محذوف وإما قوله تعالى "قالوا" الواقع بعده ، وجاءت جملة (والله يعلم) اعتراضا لدفع ما عسى أن يتوهم من رجوع التكذيب إلى نفس الخبر المشهود به من أول الأمر في قوله ﷻ: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) .

يقول السمين الحلبي : قوله: {إذا جآءك} : شرط قيل: جوابه قالوا، وقيل: محذوف ، و«قالوا» حال، أي: جاؤوك قائلين كيت وكيت، فلا تقبل منهم، وقيل: الجواب {اتخذوا أيمانهم جنة} وهو بعيد.

قوله: {قالوا نشهد} جرى مجرى القسم كفعل العلم واليقين، ولذلك تلقيت بما يتلقى به القسم في قوله: {إنك لرسول الله} .

قوله:{والله يعلم} جملة معترضة بين قوله:{نشهد إنك لرسول} وبين قوله:{والله يشهد} لفائدة، قال الزمخشري: «لو قال: قالوا نشهد إنك

---

(١) روح المعاني ١٢٩/١٤

(٢) سورة المنافقون ٦٣ الآية ١

لرسول الله، والله يشهد إنهم لكاذبون، لكان يوهم أن قولهم هذا كذب، فوسط بينهما قوله: {والله يعلم إنك لرسوله} ليميط هذا الإبهام» . (١)

٣ – سورة التكوير :

قال تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ) (٢)

ذكر الله ﷻ في هذه الآيات اثني عشر شيئا، وبين أنه حين تقع هذه الأحداث تعلم كل نفس ما قدمت من عمل خير أو شر وقد

افتتحت هذه الآيات جميعها بالشرط للتشويق لما سيأتي بعدها .

يقول ابن عاشور : الافتتاح بـ إذا افتتاح مشوق لأن إذا ظرف يستدعي متعلقا، ولأنه أيضا شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده فعند ما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن، وقد ذكر في هذه الآيات اثنا عشر حدثا فستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة منها تحصل في الآخرة، وجواب الشروط الاثني عشرة

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٣٣٥/١٠ المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق

(٢) سورة التكوير ٨١ الآيات ١-١٤

هو قوله: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ) وتتعلق به الظروف المشربة معنى الشرط. (١)

٤ – سورة الانفطار :

قال تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) (٢)

افتتحت السورة بعرض أربعة مشاهد من أهوال يوم القيامة وهي: انشقاق السماءُ ، وتساقط كواكبُها متبعثرة، وانفجار البحارُ وزوال ما بينها من حواجز، وفتح القبورُ وخَروج من فيها من الناس عند ذلك تَعلَم كلُّ نفسٍ ما عملتْ وما لم تعمَل.

يقول القاسمي : إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ أي انشقت ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ أي تساقطت ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ أي فتح بعضها إلى بعض، لزوال الحاجز بزلزلة الأرض وارتجافها وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ أي بحثت وأخرج موتاها، عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ أي لذلك اليوم من عمل صالح أو سيّئ وَأَخَّرَتْ أي تركت من خير أو شر أو المعنى: ما قدمت من عمل طيب لم تقصر فيه، وما أخرت أي قصرت فيه ، والمراد بالعلم بالتقديم والتأخير، وجدان الجزاء عليهما، وتحقق مصداق الوعد عليهما. (٣)

---

(١) التحرير والتنوير ١٤٠،١٤١/٣٠

(٢) سورة الانفطار ٨٢ الآيات ١–٥

(٣) محاسن التأويل ٤٢٢،٤٢٣/٩

٥ – سورة الانشقاق :

قال تعالى :(إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ) (١)

ابتدئت السورة بوصف أشراط الساعة من انشقاق السماء وإذعانها وخضوعها لله ﷻ وبسط الأرض وتسويتها وإلقاء ما في داخلها من الأموات وقد كررت (إذا) لأن كل جملة مستقلة بنوع من القدرة ، وحذف الجواب لتذهب النفس في تقديره كل مذهب أو حذف اكتفاء بما في السورتين السابقتين .

قال في بيان المعاني :(إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ) سمعت وأجابت وأذعنت وخضعت(لِرَبِّها) في ذلك الانشقاق(وَحُقَّتْ)أي:وحق لها إطاعة ربها، وليس لها أن تأباه أو تمتنع عنه لأنها مخلوقة له، ولا على المخلوق إلا إطاعة خالقه.

(وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ) بسطت وسوّيت باندكاك جبالها وبنائها في أوديتها وبحورها (وَأَلْقَتْ ما فِيها) من الأموات المكفوتين بها (وَتَخَلَّتْ) عن كل ما فيها وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة، وجواب إذا محذوف تقديره وقع من الهول ما تقصر عنه عبارة الفقهاء الفصحاء ويكل عنه لسان العلماء البلغاء. (٢)

---

(١) سورة الانشقاق ٨٤ الآيات ١–٤

(٢)بيان المعاني ٤/٤٣٠،٤٢٩

٦ – سورة الزلزلة :

قال تعالى:(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)(١)

افتتحت السورة الكريمة بأداة الشرط (إذا) لأن ما بعدها مقطوع بوقوعه وتحققه وهو زلزلة الأرض بمعنى تحركها واضطرابها وإخراجها ما في جوفها من الدفائن وجواب الشرط قوله (تُحَدِّثُ) .

قال الفخر : البحث الثاني: قالوا كلمة (إن) في المجوز، و(إذا) في المقطوع به، تقول: إن دخلت الدار فأنت طالق لأن الدخول يجوز،أما إذا أردت التعليق بما يوجد قطعا لا تقول:إن بل تقول: إذا نحو: إذا جاء غد فأنت طالق لأنه يوجد لا محالة هذا هو الأصل، فإن استعمل على خلافه فمجاز، فلما كان الزلزال مقطوعا به قال: إذا زلزلت ، والمعنى: حركت حركة شديدة، و(يومئذ) بدل من(إذا) وناصبهما تحدث.(٢)

٧ – سورة النصر :

قال تعالى :(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) (٣)

افتتحت هذه السورة ببيان إعانته تعالى وإظهاره لرسوله ﷺ على عدوه ووعده بالنصر والمراد به فتح مكة وقد أتى بالفعل ماضيا بعد

---

(١)سورة الزلزلة ٩٩ الآيات ١-٤

(٢) مفاتيح الغيب ٣٢/٢٥٣-٢٥٥ بتلخيص

(٣) سورة النصر ١١٠ الآيات ١-٣

إذا لإفادة التحقق، وجواب الشرط قوله فسبح .

يقول الزمخشري : (إذا جاءَ) منصوب بسبح، وهو لما يستقبل، والاعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوّة. روى أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع ، فإن قلت: ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه؟ قلت: النصر الاغاثة والاظهار على العدوّ ومنه: نصر الله الأرض غاثها، والفتح: فتح البلاد ، والمعنى: نصر رسول الله ﷺ على العرب ، أو على قريش وفتح مكة. (١)

(١)الكشاف ٤/٨١٠

المبحث السابع

السور المفتتحة بالأمـــر

أولاً : في تعريف الأمر ، وبيان صيغه ، وخروجها عن معناها الأصلي :

الأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام .

صيغه :

١ - فعل الأمر كقوله ﷻ (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) (١)

٢ - والمضارع المجزوم بلام الأمر كقوله ﷻ (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) (٢)

٣ - واسم فعل الأمر نحو قوله ﷻ (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) (٣)

٤ - والمصدر النائب على فعل الأمر نحو : سعيا في سبيل الخير.(٤)

ويقول السيوطي: وهو طلب فعل غير كف وصيغته "افعل" و"ليفعل"

---

(١) سورة مريم ١٩ من أية ١٢

(٢) سورة الطلاق ٦٥ من الآية ٧

(٣) سورة المائدة ٥ من الآية ١٠٥

(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ٧٢/١

وهي حقيقة في الإيجاب نحو قوله: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (١) وقوله : (فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ) (٢) . (٣)

خروج صيغه عن معناها الأصلي :

قد تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي وهو الإيجاب والإلزام إلى معان أخرى كثيرة تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الاحوال ومنها :

١ - الدعاء في قوله تعالى : (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) (٤)

٢ - والتهديد كقوله ﷻ:(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(٥)

٣ - والتعجيز كقوله ﷻ : (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) (٦)

٤ - والإهانة نحو قوله ﷻ: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)(٧)

---

(١) سورة البقرة ٢ من الآية ٤٣

(٢) سورة النساء ٤ من الآية ١٠٢

(٣)الإتقان في علوم القرآن ٢٧٧/٣

(٤) سورة النمل ٢٧ من الآية ١٩

(٥) سورة فصلت ٤١ من الآية ٤٠

(٦) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٣

(٧) سورة الدخان ٤٤ الآية ٤٩

٥ - والإباحة نحو قوله ﷻ: (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا)(١) . وغيرها(٢)

والأمر : حيث وقع في القرآن كان بغير الحرف كقوله تعالى:(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (٣) وقوله: (ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ) (٤) وقوله : (اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ) (٥).

وجاء بالحرف في مواضع يسيرة على قراءة بعضهم: (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) (٦) ووجهه أنه من باب حمل المخاطب على الغائب إلى الخطاب فكأنه لا غائب ولا حاضر وذلك لأن قوله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ

---

(١) سورة المائدة ٥ من الآية ٢

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ٧٢/١ ، و الإتقان في علوم القرآن ٢٧٧/٣

(٣) سورة البقرة ٢ من الآية ٤٣

(٤) سورة النمل ٢٧ من الآية ١٨

(٥) سورة النساء ٤ من الآية ٦٦

(٦) سورة يونس من الآية: ٥٨ واختُلف في "فَلْيَفْرَحُوا" فرويس بتاء الخطاب والباقون بالغيب . إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء المتوفى: ١١١٧هـ ٣١٦/١ المحقق: أنس مهرة الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ

وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) (١) فيه خطاب للنبي ﷺ مع المؤمنين وخطاب الله تعالى مع النبي للمؤمنين كخطاب الله تعالى لهم فكأنهما اتحدا في الحكم ووجود الاستماع والاتباع فصار المؤمنون كأنهم مخاطبون في المعنى فأتى باللام كأنه يأمر قوما غيبا وبالتاء للخطاب كأنه يأمر حضورا .

ويؤيد هذا قوله تعالى في أول الآية: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ)(٢) الآية فصار المؤمنون مخاطبين ثم قال لنبيه ﷺ: (قل بفضل الله وبرحمته) فبذلك ينبغي أن يكون فرحهم فصاروا مخاطبين من وجه دون وجه ونظيره: قوله تعالى: (اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (٣) . (٤)

---

(١) سورة يونس ١٠ من الآية: ٥٨

(٢) سورة يونس ١٠ من الآية: ٥٧

(٣) سورة الحشر ٥٩ من الآية ١٨

(٤) البرهان في علوم القرآن ٢/٣٧٦،٣٧٥

ثانيا : في بيان السور التي افتتحت بالأمر :

افتتح الله ﷻ في كتابه ست سور بصيغة الأمر واتفق خمس منها في الافتتاح بفعل الأمر (قل) وواحدة بفعل الأمر (اقرأ) وتوجه الأمر في جميعها للنبي ﷺ . (١)

الأولى: سورة الجن : .

قال تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) (٢)

ففي فاتحة هذه السورة يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يخبر قومه استماع جماعة من الجن إليه وهو يقرأ القرآن وقيامهم بتبليغه لقومهم، وفي هذا تكريم للنبيﷺ ببيان أن دعوته عامة للثقلين وتنويه بفضل القرآن الكريم.

يقول ابن عاشور : افتتاح السورة بالأمر بالقول يشير إلى أن ما سيذكر بعده حدث غريب وخاصة بالنسبة للمشركين الذين هم مظنة التكذيب به كما يقتضيه قوله: (كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) (٣)

أمر الله رسوله ﷺ بأن يعلم المسلمين وغيرهم بأن الله أوحى إليه وقوع حدث عظيم في دعوته أقامه الله تكريما لنبيه وتنويها بالقرآن وهو أن سخر بعضا من النوع المسمى جنا لاستماع القرآن وألهمهم أو علمهم

---

(١)الإتقان في علوم القرآن ٣/٣٦٢

(٢) سورة الجن ٧٢ الآية ١

(٣)سورة الجن ٧٢ الآية ٧

فهم ما سمعوه واهتداءهم إلى مقدار إرشاده إلى الحق والتوحيد وتنزيه الله والإيمان بالبعث والجزاء. (١)

الثانية : سورة العلق:

قال تعالى :(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) (٢)

هذه الآيات الكريمة أول ما نزل من القرآن الكريم وافتتاح السورة بكلمة اقرأ إيذان بأن رسول الله ﷺ سيكون قارئا، أي تاليا كتابا بعد أن لم يكن قد تلا كتابا وفي هذا الافتتاح براعة استهلال للقرآن.

يقول البيضاوي : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) أي اقرأ القرآن مفتتحاً باسمه ﷻ

أو مستعيناً به (الَّذِي خَلَقَ) أي الذي له الخلق أو الذي خلق كل شيء، (خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ) أي الذي خَلَقَ الْإِنْسانَ فأبهم أولاً ثم فسر تفخيماً لخلقه ودلالة على عجيب فطرته ، (اقْرَأْ) تكرير للمبالغة، ولعله لما قيل له: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ فقال: ما أنا بقارئ، فقيل له اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الزائد في الكرم على كل كريم فإنه ﷻ ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف، بل هو الكريم وحده على الحقيقة.

(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) أي الخط بالقلم ، (عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) بخلق القوى ونصب الدلائل وإنزال الآيات فيعلمك القراءة وإن لم تكن قارئاً،

---

(١)التحرير والتنوير ٢١٨/٢٩

(٢) سورة العلق ٩٦ الآيات ١-٥

وقد عدد ﷻ مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه إظهاراً لما أنعم عليه ، من أن نقله من أخس المراتب إلى أعلاها تقريراً لربوبيته وتحقيقاً لأكرميته.(١)

الثالثة : سورة الكافرون :

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (٢)

يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يبلغ المشركين أنه لن يعبد آلهتهم الباطلة في الحاضر ولا في المستقبل وكذلك هم لن يعبدوا إلهه الحق في الحاضر ولا في المستقبل بعدما أرادوا منه ﷺ أن يعبد آلهتهم مدة ويعبدوا إلهه مدة وفي افتتاح السورة بفعل الأمر «قل» اهتمام لما سيأتى بعده من الكلام.

جاء في التفسير الوسيط: قل-أيها الرسول الكريم- لهؤلاء المشركين الذين جاءوك ليساوموك على أن تعبد آلهتهم مدة، وهم يعبدون إلهك مدة أخرى ... قل لهم على سبيل الحزم والتأكيد «لا أعبد» أنا الذي تعبدونه من آلهة باطلة، ولا أنتم عابدون الإله الحق الذي أعبده، لجهلكم وجحودكم ، وعكوفكم على ما كان عليه آباؤكم من ضلال.

وافتتحت السورة الكريمة بفعل الأمر «قل» للاهتمام لما سيأتى بعده من كلام المقصود منه إبلاغه إليهم، وتكليفهم بالعمل به ، وبذلك تكون السورة الكريمة، قد قطعت كل أمل توهم الكافرون عن طريقه الوصول

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٢٥/٥ بتلخيص

(٢) سورة الكافرون ١٠٩ الآيات من ١-٦

إلى مهادنة النبي ﷺ، وإلى الاستجابة لشيء من مطالبهم الفاسدة، وإنما هو ﷺ برىء براءة تامة منهم ومن معبوداتهم وعباداتهم. (١)

الرابعة : سورة الإخلاص :

افتتحت بقوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٢)

وفيها يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يبين للناس أنه ﷻ واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وفي افتتاح السورة بفعل الأمر وضمير الشأن (هو) دلالة على أهمية وعظمة الكلام الآتي بعده .

يقول الدكتور حجازي: قل لهم يا محمد: الخبر الحق المؤيد بالصدق، والبرهان القاطع هو الله أحد، فالله واحد في ذاته ليس مركبا ولا متعددا، واحد في صفاته فليس لغيره صفة تماثله، وواحد في أفعاله فليس لغيره فعل يدانى فعله أو يشبهه.

ولعل تصدير الكلام بضمير الشأن- هو- للتنبيه من أول الأمر

على فخامة الكلام الآتي، ولبيان أنه من الخطورة والروعة ما يجعلك تبحث عنه وتلتفت إليه، وذلك أن الضمير يدعوك إلى ترقب ما بعده، فإذا جاء تفسيره وتوضيحه تمكن في النفس أى تمكن . (٣)

الخامسة والسادسة: سورتي الفلق والناس:

---

(١)التفسير الوسيط ١٥/٥٢٧،٥٢٦

(٢) سورة الإخلاص ١١٢ الآيات ١

(٣)التفسير الواضح ٣/٩١٩،٩١٨

قال تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (١) وقال تعالى :(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) (٢)

افتتحت هاتان السورتان بتوجيه الأمر للنبي ﷺ والمؤمنين بعده أن يستعيذوا برب المخلوقات، ومبدع الكائنات، من كل أذى وشر يصيبهم من أي مخلوق من مخلوقاته .

يقول صاحب الظلال : هذه السورة والتي بعدها توجيه من الله ﷻ لنبيه ﷺ ابتداء وللمؤمنين من بعده جميعا، للعياذ بكنفه، واللياذ بحماه، من كل مخوف: خاف وظاهر، مجهول ومعلوم، على وجه الإجمال وعلى وجه التفصيل.. وكأنما يفتح الله ﷻ لهم حماه، ويبسط لهم كنفه، ويقول لهم، في مودة وعطف: تعالوا إلى هنا، تعالوا إلى الحمى، تعالوا إلى مأمنكم الذي تطمئنون فيه ، تعالوا فأنا أعلم أنكم ضعاف وأن لكم أعداء وأن حولكم مخاوف وهنا.. هنا الأمن والطمأنينة والسلام.... ومن ثم تبدأ كل منهما بهذا التوجيه: «قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» .. «قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» .. (٣)

---

(١) سورة الفلق ١١٣ الآية ١

(٢) سورة الناس ١١٤ الآية ١

(٣)في ظلال القرآن لسيد قطب ٤٠٠٦/٦ الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ

المبحث الثامن

السور المفتتحة بالاستفهام

أولاً : في تعريف الاستفهام ، وبيان أدواته ، ومعانيها ، وخروجها عن معناها الأصلي :

الاستفهام: هو طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة عملية مجهولة لدى المستفهم.

أدواته : للاستفهام طائفة من الأدوات، وهي تقع في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يستفهم به عن التصور والتصديق(١) ، وهو "همزة الاستفهام" فقط، وهو حرف لا يكون له محل من الإعراب في الجملة.

---

(١) التصور: هو إدراك المفرد، ويطلب بالاستفهام عن التصور إدراك المسند إليه، أو إدراك المسند، لتعيينه، ويكون الجواب بتعيين المسؤول عنه، مسندا كان أو مسندا إليه مثل:أضُرب خالد أم أكل؟ والجواب: ضُرب – أو – أكل ، والتصديق: هو إدراك النسبة الحكمية بين المسند والمسند إليه، موجبة كانت أو سالبة مثل:هل بُعث خاتم المرسلين؟ والجواب: نعم بُعث.
البلاغة العربية للمؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)١/٢٥٨،٢٥٩ الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م

القسم الثاني: ما يستفهم به عن التصديق فقط وهو لفظ "هل" وهو حرف أيضا، لا يكون له محل من الإعراب في الجملة.

القسم الثالث: ما يستفهم به عن التصور فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام، وهذه جميعها أسماء، وهي: "ما – من – أي – كم – كيف – أين – أنى – متى – أيان".

ولكل أداة من هذه الأدوات صفات وخصائص:

الأداة الأولى : "همزة الاستفهام" وتختص عن سائر الأدوات بعدة خصائص منها:

١ – جواز حذفها وتقديرها ذهنا، مثل قوله ﷻ { قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ }(١) أي: أآمنتم به؟

٢ – أنها أداة يطلب بها التصور والتصديق، ويكثر في طلب التصور بها أن يذكر للمستفهم عنه معادل بعد "أم" وتسمى عندئذ همزة التسوية، مثل قوله ﷻ :{ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ }(٢) فإذا طُلب بها التصديق امتنع ذكر معادل للمستفهم عنه بها، مثل قوله ﷻ : { أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ }(٣)

٣ – أنها لا يليها إلا المسؤول عنه، سواء أكان مسندا، أم مسندا إليه، أم مفعولا به، أم حالا أم ظرفا أم غير ذلك من متعلقات الفعل.

---

(١) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٢٣

(٢) سورة البقرة ٢ من الآية ١٤٠

(٣) سورة الملك ٦٧ الآية ١٦

٤ – أن لها تمام الصدارة، فتقدم في الجملة حتى على حروف العطف، مثل قوله ﷻ:{ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا } ؟ (١)

وقوله ﷻ :{ أَوَلَمْ يَسِيرُوا }(٢) وقوله ﷻ :{ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ }(٣)؟.

أما سائر أدوات الاستفهام فتتأخر عن حروف العطف، مثل قوله ﷻ: { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ }؟ (٤) وقوله ﷻ { فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ }؟ (٥) وقوله ﷻ { فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ }؟ (٦) وقوله ﷻ { فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ }؟ (٧)

الأداة الثانية: "هل" ويستفهم بها عن التصديق فقط ، فلا يذكر مع المستفهم عنه بها معادل، بخلاف همزة الاستفهام، والأصل في كلمة "هل" أن تدخل على جملة فعلية، فيليها فعل لفظا أو تقديرا مثل قوله ﷻ: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ؟}(٨).

---

(١) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٨٥

(٢) سورة الروم ٣٠ من الآية ٩

(٣) سورة يونس ١٠ من الآية ٥١

(٤) سورة آل عمران ٣ من الآية ١٠١

(٥) سورة التكوير ٨١ الآية ٢٦

(٦) سورة الأنعام ٦ من الآية ٩٥

(٧) سورة الأحقاف ٤٦ من الآية ٣٥

(٨) سورة النحل ١٦ من الآية ٣٣

الأداة الثالثة: "ما" ومعناها "أي شيء؟ " وهي للاستفهام عن غير العقلاء، نحو قوله ﷻ { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا موسى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا على غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أخرى } (١)

الأداة الرابعة: "مَن" ويطلب بها تعيين أحد العقلاء، أو العلماء، مثل قوله ﷻ :{ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا }؟ (٢)

الأداة الخامسة: "متى" ويستفهم بها عن الزمان ماضيا كان أم مستقبلا، مثل قول الله ﷻ { حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }(٣)

الأداة السادسة: "أيان" وتختص بالاستفهام عن الزمان المستقبل، وتستخدم في الموضع الذي يحسن فيه التهويل والتعظيم، وتضخيم أمره، مثل قول الله ﷻ { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا }؟ (٤)

الأداة السابعة: "كيف" ويستفهم بها عن الحال، ويطلب بها تعيين الحال مثل قول الله ﷻ { وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا}؟(٥)

---

(١) سورة طه ٢٠ الآيتان ١٧،١٨

(٢) سورة يس ٣٦ من الآية ٥٢

(٣) سورة البقرة ٢ من الاية ٢١٤

(٤) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٨٧

(٥) سورة البقرة ٢ من الأية ٢٥٩

الأداة الثامنة: "أين" ويستفهم بها عن المكان، مثل قوله ﷻ { فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ }(١)

الأداة التاسعة: "أنى" وتأتي بمعنى "من أين؟ " ومثاله قوله ﷻ : {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا }؟ (٢) أي : من أين لك هذا؟

الأداة العاشرة: "كم" ويستفهم بها عن العدد، ويطلب بها تعيين العدد، ومعناها: أي عدد، مثل قول الله ﷻ:{ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ }؟ (٣).

الأداة الحادية عشرة: "أي" ويستفهم بها لتعيين أحد المتشاركين في أمر يعمهما، نحو قول الله ﷻ { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } (٤). (٥)

خروج الاستفهام عن أصل دلالته إلى معاني أخرى :

كثيرا ما يخرج الاستفهام عن إرادة طلب الإفهام والإعلام إلى معان أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال ومنها :

---

(١) سورة القيامة ٧٥ الآيات ٧-١٠

(٢) سورة آل عمران ٣ من الآية ٣١

(٣) سورة البقرة ٢ من الآية ٢١١

(٤) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٩

(٥)البلاغة العربية ١/٢٩٥-٢٩٦ بتلخيص

١ – الإنكار : ويسمى استفهاما إنكاريا، ويراد منه النفي ويأتي بعده الاستثناء نحو قوله ﷻ (بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) (١) أي: لا يهلك إهلاكا عاما شاملا بعقوبة دنيوية معجلة إلا القوم الفاسقون.

٢ – التوبيخ والتقريع: ويسمى استفهاما توبيخيا، أو تقريعيا ، نحو قوله ﷻ : {قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (٢)؟ فإبراهيم عليه السلام يوبخهم على أنهم يعبدون أوثانا ينحتونها بأيديهم، والله خلقهم وخلق أوثانهم التي يعبدونها، وهو الذي يجب أن تكون العبادة له وحده.

٣ – التقرير: ويسمى استفهاما تقريريا، والمراد منه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده العلم به نحو قوله ﷻ:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوى وَوَجَدَكَ ضَآلاً فهدى وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فأغنى}(٣)

٤ – التعجب أو التعجيب : نحو قوله ﷻ: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بالله وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (٤)؟! فالمعنى أن كفركم بالله مع كونكم كنتم أمواتا فأحياكم ولم تحيوا أنتم أنفسكم، أمر ينبغي أن تعجبوا منه قبل غيركم، وأمر يتعجب منه كل العقلاء من أهل الرشد.

---

(١) سورة الأحقاف ٣٥ من الآية ٥٠٦

(٢) سورة الصافات ٣٧ الآيتان ٩٥،٩٦

(٣) سورة الضحى ٩٣ الآيات ٦–٨

(٤) سورة البقرة ٢ الآية ٢٨

٥ – العتاب:وهو أخف أنواع إظهار عدم الارتياح لسلوك ما، فعلا كان أو تركا نحو قوله ﷻ : { عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ الذين صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الكاذبين }(١) ؟ فقول الله له: {لم أذنت لهم} من ألطف صور العتاب. (٢)

ثانياً : بيان السور التي بدأت بالاستفهام في القرآن الكريم :

١ – سورة النبأ :

قال تعالى : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) (٣) افتتحت هذه السورة بالاستفهام وأداته "ما" دخل عليها حرف الجر "عن" وقد خرج الاستفهام في الآية عن معناه الحقيقي إلى التفخيم والتعظيم .

يقول الزمخشري : عَمَّ أصله عما، على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية والاستعمال الكثير على الحذف، والأصل: قليل ، ومعنى هذا الاستفهام: تفخيم الشأن، كأنه قال: عن أي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد ؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟ تريد: أى شيء هو من الأشياء هذا أصله، ثم جرد للعبارة عن التفخيم ، حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية .

---

(١) سورة التوبة ٩ الآية ٤٣

(٢)البلاغة العربية ١/٢٨١،٢٥٨ بتلخيص وقد ذكر المؤلف اثنين وثلاثين معنى يخرج فيها الاستفهام عن الحقيقة .

(٣) سورة النبأ ٧٨ الآيتان ١،٢

(يَتَساءَلُونَ) يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول اللهﷺ والمؤمنين والضمير لأهل مكة: كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث، ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عَنِ (النَّبَإِ الْعَظِيمِ) بيان للشأن المفخم وقيل: المتساءل عنه القرآن، وقيل: نبوّة محمدﷺ.(١)

٢ – سورة الإنسان :

قال تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) (٢)

افتتحت السورة الكريمة بحرف الاستفهام"هل" وقد اختلف المفسرون في هذا الاستفهام هل هو على الحقيقة أم مراد به التقرير، وقيل أنها بمعنى قد وعلى كل ففي تقديم هذا الاستفهام تشويق إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام .

يقول السمين الحلبي : قوله: {هل أتى} : في «هل» هذه وجهان، أحدهما: أنها على بابها من الاستفهام المحض، أي: هو ممن يسأل عنه لغرابته: أأتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا، فإنه يكون الجواب: أتى عليه ذلك، وهو بالحال المذكورة، كذا قاله الشيخ. (٣)

---

(١)الكشاف ٦٨٤/٤

(٢) سورة الإنسان ٧٦ الآية ١

(٣) يقصد بالشيخ الإمام أبو حيان في البحر المحيط ٣٥٨/١٠

وقال مكي في تقرير كونها على بابها من الاستفهام :«والأحسن أن تكون على بابها للاستفهام الذي معناه التقرير، وإنما هو تقرير لمن أنكر البعث، فلا بد أن يقول: نعم قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه، فيقال له: من أحدثه بعد أن لم يكن وكونه بعد عدمه كيف يمتنع عليه بعثه وإحياؤه بعد موته؟ وهذا هو الذي يجب أن يكون؛

لأن الاستفهام لا يرد من الباري تعالى لا على هذا النحو وما أشبهه.

والثاني: أنها بمعنى "قد" قال الزمخشري: "هل" بمعنى "قد" في الاستفهام خاصة والأصل: "أهل" فالمعنى: أقد أتى، على التقرير والتقريب جميعا، أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا، أي: كان شيئا منسيا غير مذكور انتهى. (١)

٣ – سورة الغاشية :

قال تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) (٢) صدرت السورة بأداة الاستفهام "هل" ، والاستفهام هنا ليس على حقيقته بل المراد منه أن يتعجب السامع ويتشوق إلى ما سيذكر بعده من الحديث عن يوم القيامة.

يقول أبو السعود : قيل "هل" بمعنى "قد" كما في قوله تعالى {هَلْ أتى عَلَى الإنسان} الآية قال قطرب أي قد جاءك يا محمدﷺ حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام أريد به التعجيب مما في حيزه

---

(١)الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٩٠/١٠ ، والكشاف ٦٦٥/٤

(٢) سورة الغاشية ٨٨ الآية ١

والتشويق إلى استماعه والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهي القيامة . (١)

٤ – سورة الشرح :

قال تعالى :(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) (٢)

في هذه السورة يُعدد الله ﷻ نعمه على رسوله ﷺ ولذلك افتتحت السورة بدخول همزة الاستفهام على حرف النفي فأفاد تقرير على هذه النعمة وما بعدها والمعنى: قد شرحنا لك صدرك وفعلنا كذا وكذا .

يقول الطبري : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مذكِّره آلاءه عنده، وإحسانه إليه، حاضا له بذلك على شكره، على ما أنعم عليه، ليستوجب بذلك المزيد منه: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ) يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ (صَدْرَكَ) فنلّين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة: (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) يقول: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها وقوله: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) يقول:

---

(١)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٤٨/٩

(٢) سورة الشرح ٩٤ الآيات١-٤

ورفعنا لك ذكرك، فلا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي، وذلك قول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. (١)

ويقول الزمخشري : استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك . (٢)

٥ – سورة الفيل :

قال تعالى :(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) (٣)

افتتحت السورة الكريمة بهمزة الاستفهام الداخلة على حرف النفي لم وهي حرف نفي، والاستفهام كالنفي، فاجتمع نفيان، فلما دخل النفي على النفي، انقلب إيجابا والاستفهام لتقرير أمر للنبيﷺ وأمته.

قال في التفسير الوسيط : والاستفهام في قوله ﷻ : (أَلَمْ تَرَ) للتقرير بما تواتر نقله وعلمه ﷺ وعلَّمه غيره علما مستفيضا حتى إن العرب كانوا يؤرخون بتلك الحادثة، فيقولون: هذا الأمر حدث في عام الفيل،أو بعده أو قبله والمراد بالرؤية هنا: العلم المحقق.

وعبر ﷻ عن العلم بالرؤية، لأن خبر هذه القصة كما أشرنا كان من الشهرة بمكان، فالعلم الحاصل بها مساو في قوة الثبوت للرؤية والمشاهدة.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ٤٩٣/٢٤

(٢) الكشاف ٧٧٠/٤

(٣) سورة الفيل ١٠٥ الآية ١

وأوقع ﷻ الاستفهام عن كيفية ما أنزله بهم، لا عن الفعل ذاته، لأن الكيفية أكثر دلالة على قدرته ﷻ وعلى أنه ﷻ لا يعجزه شيء.

وفي التعبير بقوله: فَعَلَ رَبُّكَ إشارة إلى أن هذا الفعل لا يقدر عليه أحد سواه ﷻ فهو الذي ربي نبيه ﷺ وتعهده بالرعاية، وهو الكفيل بنصره على أعدائه، كما نصر أهل مكة، على جيوش الحبشة وهم أصحاب الفيل. (١)

٦ – سورة الماعون :

قال تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) (٢)

افتتحت السورة الكريمة بالاستفهام وأداته الهمزة والغرض منه تشويق السامع إلى تعرّف ما يذكر بعده والتعجيب من حال المكذبين بالجزاء والمعنى :هل عرفت وعلمت .

يقول الألوسي : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) استفهام أريد به تشويق السامع إلى تعرف المكذب وأن ذلك مما يجب على المتدين ليحترز عنه وعن فعله، وفيه أيضا تعجيب منه والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يصلح له، والرؤية بمعنى المعرفة المتعدية لواحد ، وقال الحوفي: يجوز أن تكون بصرية، وعلى الوجهين يجوز أن يتجوز بذلك عن الإخبار فيكون المراد بأرأيت أخبرني وحينئذ تكون متعدية لاثنين

(١)التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٥/٥١٠ بتلخيص

(٢) سورة الماعون ١٠٧ الآية ١

أولهما الموصول وثانيهما محذوف تقديره من هو أو أليس مستحقا للعذاب. (١)

(١)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٥/٤٧٤

المبحث التاسع

السور المفتتحة بالدعـــاء

الدعاء : في الأصل من النداء، يقال: دعا فلانا إذا صاح به وناداه وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة ودعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته ،وتداعى القوم:دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا ودعا الميت: ندبه كأنه ناداه (١)

ودعا المؤمن ربه، إذا ناداه وطلب منه تحقيق نفع أو دفع ضر من أمور الدنيا، أو أمور الآخرة.

واشتهر الدعاء بأحد معانيه اللغوية، وهو المعنى الديني له، مع توسع شمل كل ذكر لله ﷻ وثناء عليه بصفاته وأسمائه الحسنى، لأن ذكر الله يرجى منه رضوان الله وثوابه، فهو ذو دلالة طلبية، ويتضمن غالبا نداء الله ﷻ بحمده والثناء عليه.

روى الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ قال:"خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير".(٢)

---

(١) لسان العرب ١٤ / ٢٥٧،٢٦١

(٢) سنن الترمذي ٥/٥٧٢ رقم ٣٥٨٥ وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه سنن الترمذي تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر وآخرون الناشر: =

فمن دعاء الله ما هو مطلق ذكر له، ومن دعاء الله ما هو نداء له بطلب يتضمن استجداء تحقيق مرغوب فيه من خيرات الدنيا، أو خيرات الآخرة، أو دفع مكروه من أمور الدنيا أو أمور الآخرة.

ويكون الدعاء بصيغ كثيرة تشمل صيغ الأمر والنهي، وصيغ الجمل الخبرية، والأصل فيه النداء مع طلب بصيغ الأمر أو النهي، وكثيرا ما يحذف حرف النداء، مثل: رب اغفر لي وارحمني. وكثيرا ما يدعى بصيغة خبرية، مثل: رحم الله فلانا وغفر له، أو يرحم الله فلانا ويغفر له.

والدعاء الموجه لله ﷻ من أجل العبادات، والدعاء وفق المعنى الديني الموجه لغير الله ﷻ شرك بالله، والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

ويستحب أن يتأدب الداعي مع ربه، في طلب حاجاته الدنيوية ، كما فعل موسى عليه السلام ، وهو عند ماء مدين، إذ قال:{ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }(١) ، فاستجاب الله طلبه الذي ألمح إليه دون تصريح، فدعاه الشيخ والد المرأتين اللتين سقا لهما إلى منزله، وبعد أن قص عليه قصة خروجه من مصر، عرض عليه أن ينكحه إحدى ابنتيه، فتم ذلك.

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٤

وتأدب رسول الله محمد ﷺ مع ربه، وفي نفسه أن يحول الله القبلة إلى الكعبة المشرفة، فجعل يقلب وجهه في السماء، فقال الله ﷻ له:{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }(١).

وتأدب أيضا ﷺ مع ربه في دعائه الصريح، فلم يشْكُ ما يتعلق بشخصه من عداء قومه له، وتدبيرهم وسائل محاربته وقمعه، واقتصر على ما يتعلق بأمر تبليغ القرآن، ومتابعة تذكير قومه به، فقال: { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا }(٢) ، فجاء الجواب الرباني متعلقا بما كتمه الرسول ﷺ ولم يصرح به، فقال الله ﷻ:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا } (٣).

فبدأ العلاج القرآني بما كتمه الرسول ﷺ في دعائه ولم يصرح به(٤)

وقد افتتح الله ﷻ في كتابه الكريم ثلاث سور بالدعاء وهي :

١- سورة المطففين :

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ١٤٤

(٢) سورة الفرقان ٢٥ الآية ٣٠

(٣) سورة الفرقان ٢٥ الآية ٣١

(٤) البلاغة العربية ١/٢٥٥-٢٥٧

قال تعالى :(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (١)

افتتحت السورة الكريمة بهذا الدعاء الذي يحمل الوعيد بالعقاب والهلاك لهؤلاء المطففين الذين يأخذون حقهم كاملا، ويعطون حق غيرهم ناقصا وهو افتتاح يشعر بالتهديد الشديد، والوعيد الأليم لمن يفعل ذلك.

يقول ابن عاشور : افتتاح السورة باسم الويل مؤذن بأنها تشتمل على وعيد فلفظ ويل من براعة الاستهلال وويل كلمة دعاء بسوء الحال، وهو في القرآن وعيد بالعقاب وتقريع، والتطفيف: النقص عن حق المقدار في الموزون أو المكيل. (٢)

وجاء في بيان المعاني : قال تعالى: «وَيْلٌ» الشر الشديد والحزن المزيد والهلاك العظيم والعذاب الأليم، قيل هو واد في جهنم خاص . «لِلْمُطَفِّفِينَ» الذين ينقصون الكيل والميزان ثم وصف الله تعالى هؤلاء المطففين بقوله ﷻ «الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ» الكيل تماما بل بزيادة على المعتاد إذا اشتروا منهم، وبقوله ﷻ «وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ» ينقصون الكيل والميزان عند ما يبيعونهم شيئا.

---

(١) سورة المطففين ٨٣ الآيات ١-٣

(٢) التحرير والتنوير ١٩١/٣٠ بتلخيص

وهذه صفة كاشفة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الويل، ولم يقل ﷻ ينقصون، لأن من يسرق في الكيل والميزان والذراع مثلا يسرق شيئا طفيفا بحيث لا يحس به غالبا، ولهذا قال للمطففين. (١)

٢ – سورة الهمزة :

قال تعالى : (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ) (٢)

افتتحت السورة بالدعاء على كل من يطعن في أعراض الناس،

ويغض من شأنهم، ويحقر أعمالهم وصفاتهم، وينسب إليهم ما هم برآء منه من عيوب وبينت أن له عذابا شديدا، وخزيا عظيما يوم القيامة.

قال في التفسير الوسيط : الويل: لفظ يدل على الذم وعلى طلب العذاب والهلكة وقيل: اسم لواد في جهنم .

والهمزة من الهمز، بمعنى الطعن في أعراض الناس، ورميهم بما يؤذيهم ، واللّمزة من اللمز، بمعنى السخرية من الغير، عن طريق الإشارة باليد أو العين أو غيرهما.

قال الجمل: الهمزة واللمزة: هم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة الباغون العيب للبريء، فعلى هذا هما بمعنى واحد.

---

(١) بيان المعاني ٤/٥٠٩،٥٠٨

(٢) سورة الهمزة ١٠٤ الآيتان ١،٢

وقيل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب، واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل: العكس.

وحاصل هذه الأقوال يرجع إلى أصل واحد، وهو الطعن وإظهار العيب، ويدخل في ذلك من يحاكى الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه .

ولفظ «ويل» مبتدأ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة، لأنه دعاء عليهم، وقوله: لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ خبره. (١)

٣ – سورة المسد :

قال تعالى : (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (٢)

افتتح الله ﷻ السورة بالدعاء بالخسران والهلاك على أبي لهب عم النبي ﷺ وقد جاء الدعاء عليه بمثل اللفظ الذي شتم به أبو لهب محمدا ﷺ جزاء وفاقا ، حسب ما جاء في سبب نزول هذه الآيات.

يقول ابن الجوزي : وسبب نزولها ما رواه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)(٣) صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال:«يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم١٥/٥٠٥،٥٠٤

(٢) سورة المسد ١١١ الآية ١

(٣) سورة الشعراء ٢٦ الآية ٢١٤

فقال: أرأيتُكم إن أخبرتُكم أن العدوَّ مصبِّحكم، أو ممسِّيكم، أما كنتم تصدقوني؟» .

قالوا: بلى قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ، قال أبو لهب: تَباً لك، ألهذا دعوتنا جمعا؟ فأنزل الله تعالى: (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ)(١)

ومعنى: (تَبَّتْ) خسرت يدا أبي لهب (وتَبَّ) أي: وخسر هو.

قال الفراء: الأول: دعاء، والثاني: خبر، كما يقول الرجل: أهلكك الله وقد أهلكك ، وجعلك الله صالحاً وقد جعلك.

وقيل: ذكر يديه، والمراد نفسه، ولكن هذا عادة العرب يعبِّرون ببعض الشيء عن جميعه، كقوله ﷻ:(ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ)(٢). (٣)

---

(١) صحيح البخاري باب قوله: { وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب } ١٨٠/٦ رقم ٤٩٧٢

(٢) سورة الحج ٢٢ من الآية ١٠

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٥٠٢/٤

المبحث العاشر

السور المفتتحة بالتعليل

أولاً : تعريف التعليل ، وفائدته ، وحروفه ، وذكر أمثلة له من القرآن :

التعليل : هو : زيادة في الكلام عن أصل المعنى الذي يقصد التعبير عنه لبيان علته، أو سببه، أو الدليل على صحته أو نفعه وفائدته وهو من أنواع الإطناب(١).

وفائدة التعليل الشامل لبيان العلة أو السبب أو الدليل:

١ – الإقناع بصحة الكلام، أو بفائدة العمل بمقتضاه.

٢ – توليد الدافع الذاتي للعمل بمقتضاه.

٣ – زيادة تقرير مضمون الكلام بذكر علته، لأن النفوس أكثر استعدادا لتقبل الأخبار أو التكاليف المعللة المقرونة ببيان أسبابها وأدلتها، مما لو قدمت لها الأخبار أو التكاليف مجردة من ذلك ، فيكون

---

(١) الإطناب هو : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده ، فإذا لم تكن في الزيادة فائدة ، يسمى «تطويلا» إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة ، ويسمى «حشوا» إن كانت الزيادة في الكلام متعينة لا يفسد بها المعنى . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ٢٠١/١

تطويل الكلام بالتعليل وبيان الدليل إطنابا حسنا مفيدا، ذا أثر في نفوس المتلقين له. (١)

يقول السيوطي : وفائدته التقرير والأبلغية فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى .

وحروفه اللام وإن وأن وإذ والباء وكي ومن ولعل . (٢)

وغالب ما جاء في القرآن من تعليل قد جاء بمثابة جواب سؤال مقدر ذهنا غير مذكور في اللفظ .

ومن أمثلته :

١ - قول الله ﷻ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }(٣) فعبارة:{ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} هي بمعنى لتفلحوا على سبيل الرجاء ، ولقد تم المطلوب بعبارة { فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} لكن جاء التعليل بعدها لتوليد الدافع الذاتي للعمل بهذا المطلوب، فزيادة التعليل قد كانت إطنابا نافعا.

٢ - وقوله ﷻ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا

---

(١) البلاغة العربية ٢/٩٤

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٣/٢٥٥

(٣) سورة الأنفال ٨ الآية ٤٥

يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ }(١).

ففي هذا النص اقترن النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ببيان العلة أو السبب أو الحكمة، لتوليد الدافع الذاتي لاجتنابها ، فهي: رجس من عمل الشيطان ، واجتنابها سبب يرجى معه الفلاح ، والشيطان يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين الناس في تعاطيهم الخمر والميسر، ويريد أن يصدهم بهما عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهذه الأسباب كافية لأن تجعل ذا اللب يحقق المطلوب اجتنابه في النص ، فزيادة التعليل في النص قد كانت إطنابا نافعا.

٣ - وقول الله ﷻ :{ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }(٢) .

أي: ومن جاهد ابتغاء مرضاة الله فإنه إنما يجاهد ليحقق لنفسه عند الله ثوابا عظيما، وهو بجهاده لا يضيف إلى ملك الله شيئا ، هنا يرد سؤال مقدر: ما السبب في قصر نفع جهاده على نفسه؟

فجاء الجواب التعليلي بعبارة: { إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } ، أي: إن الله قادر على نصرة دينه دون مجاهد المجاهدين المؤمنين، لكن

(١) سورة المائدة ٥ الآيتان ٩٠،٩١

(٢) سورة العنكبوت ٢٩ الآية ٦

ابتلاءهم في الحياة الدنيا اقتضى تكليفهم بالجهاد لنصرة دينه، وترك الأمر للأسباب التي وضعها للناس. (١)

ثانيا : بيان السور التي بدأت بالتعليل في القرآن الكريم :

سورة قريش : قال تعالى : (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)(٢)

هذه هي السورة الوحيدة التي بدأت بالتعليل وهو تعليل لأمره ﷺ قريش بعبادته يعني إن كانت قريش لا يعبدون ربهم لسبب من الأسباب فليعبدوا رب هذا البيت لأنه آلفهم رحلة الشتاء والصيف للتجارة وكسب الرزق، وكانوا بذلك أغنياء آمنين ينتقلون حيث شاءوا، وإذا كان الله هو صاحب الفضل في ذلك كله فليعبدوه وحده دون سواه لأنه أطعمهم بدل جوع شديد، وآمنهم بدل خوف كثير.

يقول ابن عاشور : افتتاح مبدع إذ كان بمجرور بلام التعليل وليس بأثره بالقرب ما يصلح للتعليق به ففيه تشويق إلى متعلق هذا المجرور، وزاده الطول تشويقا إذ فصل بينه وبين متعلقه بخمس كلمات، فيتعلق لإيلاف بقوله : ليعبدوا ، وتقديم هذا المجرور للاهتمام به إذ هو من أسباب أمرهم بعبادة الله التي أعرضوا عنها بعبادة الأصنام والمجرور متعلق بفعل «ليعبدوا» .

---

(١) البلاغة العربية ٢/٩٣-٩٦

(٢) سورة قريش ١٠٦ الآيات ١-٥

وأصل نظم الكلام: لتعبد قريش رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فلما اقتضى قصد الاهتمام بالمعمول تقديمه على عامله، تولد من تقديمه معنى جعله شرطا لعامله فاقترن عامله بالفاء التي هي من شأن جواب الشرط، فالفاء الداخلة في قوله: ليعبدوا مؤذنة بأن ما قبلها في قوة الشرط، أي مؤذنة بأن تقديم المعمول مقصود به اهتمام خاص وعناية قوية هي عناية المشترط بشرطه، وتعليق بقية كلامه عليه لما ينتظره من جوابه، وهذا أسلوب من الإيجاز بديع. (١)

(١)التحرير والتنوير ٣٠/٥٥٥،٥٥٤

خـــاتـــمـــة

الحمد الذى بنعمته تتم الصالحات، إليه يرجع الفضل كله، والأمـــر كلـــه، والحمد كله، " سبحانك ربى" لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيـــت علـــى نفسك" (١). ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فالحمد لله والفضل كله يرجع إليـــه حيـــث وجهنـــي لاختيـــار هـــذا الموضوع، والذي تعلمت منه الكثير ، ثم الحمد لله أن وفقني إلى الكتابة فيه حتى خرج في هذه الصورة والتي أسأل الله تعالى أن تنـــال رضـــاه أولاً، ثم رضا من طالعها، والله أسأل ألا يحرمني الثواب من ورائها إنـــه ولى ذلك والقادر عليه.

وبعد :

فهذه أنواع فواتح السور القرآنية التي دلت على قمة البلاغة ، فضلا عن التحدي والإعجاز ، وصدق النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه.

وقد نظم بعضهم هذه الأنواع العشرة في بيتين فقال :

أثنـــى على نفســـه سبحـــانه بثبـــو

ت الحمد والسلب لما استفتح السورا

---

(١) صحيح مسلم ٤- كتاب الصلاة ٤٢- باب مايقال فى الركوع والسجود٢/ ٤٤٠ حديث رقم٢٢٢- ٤٨٦ ط دار الحديث بالقاهرة ط الثالثة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

والأمر شرط النداء والتعليل والقسم

الدعاء حروف التهجي استفهم الخبراء (١)

وقد تجلى لنا من هذه الدراسة بعض أسرار القرآن الكريم في فواتح سوره وتنقلاته من سورة إلى سورة عن طريق جذب انتباه السامع ولفت أنظاره .

وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها ، ومن الابتداء الحسن وبراعة الاستهلال أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله وقد ظهر من خلال هذا البحث أن هذه الفواتح جاءت مقدمة لكل سورة ومشتملة على مقاصدها بعبارة وجيزة في أولها.

وهذا ما مَنَّ الله ﷻ به عليَّ ، وما سنحت به الفرصة في الحديث عن هذا الموضوع فإن أكن وفقت فذلك من فضل الله ﷻ وكرمه عليّ وإن كانت الأخرى فمرجع ذلك أنني بشر أخطئ وأصيب، ولا ألومن إلا قلة علمي وتقصيري في العمل،﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٢)

والله أسأل ألا يحرمني ووالديّ الثواب على هذا العمل ، وأن ينفعني به، وأن يثقل به حسناتي يوم العرض عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣/٣٦٣

(٢) سورة هود ١١ من الآية (٨٨).

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء المحقق: أنس مهرة الناشر: دار الكتب العلمية لبنان الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

٢. الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب طـ ١٩٧٤ م

٣. أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٤. أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء المحقق: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض - دار النشر: دار الفضيلة

٥. البرهان في علوم القرآن للزركشي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

٦. البلاغة العربية للمؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

٧. بيان المعاني للمؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني الناشر: مطبعة الترقي - دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م

٨. التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان

٩. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٠. تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ

١١. تفسير البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

١٢. تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بتصرف الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤هـ

١٣. تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

١٤. تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

١٥. تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى – ١٤٢٢ هـ

١٦. تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م

١٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور: وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

١٨. تفسير النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

١٩. التفسير الواضح المؤلف: محمد محمود حجازي ، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة : العاشرة – ١٤١٣ هـ

٢٠. التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي بتلخيص وتصرف الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى

٢١. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٢٢. تفسير روح البيان للمؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء الناشر: دار الفكر – بيروت

٢٣. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٢٤. تفسير زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

٢٥. تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ

٢٦. تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن المحقق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

٢٧. تفسير محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

٢٨. تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخران الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٢٩. تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي خطيب الري الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٣٠. الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٣١. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد إبراهيم مصطفى الهاشمي ، ضبط د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت

٣٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق

٣٣. الدعاء لأبي القاسم الطبراني المحقق: مصطفى عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣

٣٤. سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي

٣٥. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِستاني المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٣٦. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر وآخران الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٣٧. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م

٣٨. القاموس المحيط للفيروز آبادى الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٣٩. لباب النقول في أسباب النزول لأبي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٤٠. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٤١. المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

٤٢. المسند الصحيح (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٤٣. معجم الأدباء لياقوت الحموي ط دار الكتب العلمية بيروت.

٤٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

٤٥. الموطأ للإمام مالك صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان عام النشر: ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م

محتويات البحث

م	الموضوع
١.	تقديـــــــم
٢.	المبحث الأول السور المفتتحة بالثناء على الله تعالى
٣.	المبحث الثاني :السور المفتتحة بالحروف المقطعة
٤.	المبحث الثالث : السور المفتتحـــــــة بالنـــــــداء
٥.	المبحث الرابع : السور المفتتحة بالجمـل الخبريـة
٦.	المبحث الخامس : السور المفتتحـــة بالقَـــسَـــمْ
٧.	المبحث السادس : السور المفتتحـــة بالشَّـــــرْط
٨.	المبحث السابع : السور المفتتحـــــة بالأمـــــــــــر
٩.	المبحث الثامن : السور المفتتحـــــــة بالاستفهـــام
١٠.	المبحث التاسع : السور المفتتحـــــــة بالدعـــــاء
١١.	المبحث العاشر : السور المفتتحـــــــة بالتعليـــــل
١٢.	خـــــــــــــــــاتـمـــــــــة

١٣.	فهرس المصادر والمراجع
١٤.	محتويات البحث